إبداع

الطب النفسى العربى الإسلامى

دراسة تأصيلية مقارنة بالعلم الحديث

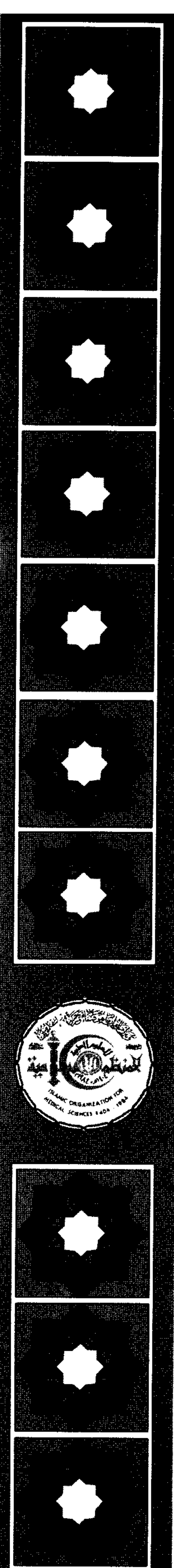
دكتور

خالد أحمد حسنين على حربى

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

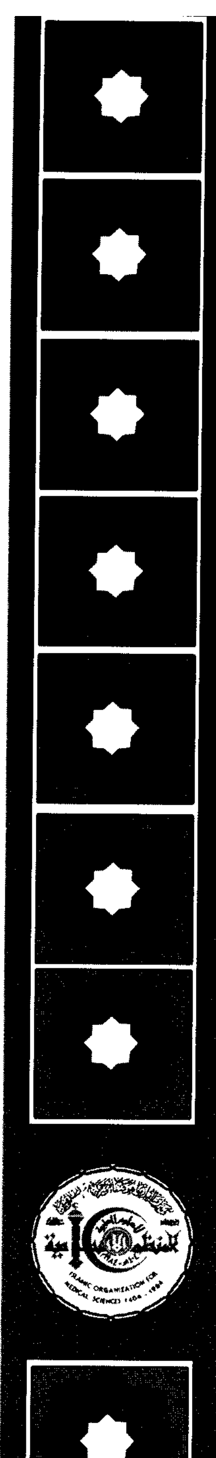
الطبعة الأولى 2007

الناشر





دولة الكويت
سلسلة مطبوعات
المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية
السلسلة التراثية



إبداع

الطب النفسى العربى الإسلامى

دراسة تأصيلية مقارنة بالعلم الحديث

إشـــــراف وتقديم

الدكتور
عبد الرحمن عبد الله العوضي
رئيس المنظمة الإسلامية
للعلوم الطبية

الدكتور
عبد الله يوسف الغنيم
رئيس لجنة التراث
والثقافة بالمنظمة

الدكتور
أحمد رجائي الجندي
الأمين العام المساعد للمنظمة
الإسلامية للعلوم الطبية

الطبعة الأولى ٢٠٠٧

فهرسة
مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

810.803 حربي، خالد. إبداع الطب النفسي العربي الإسلامي: دراسة تأصيلية مقارنة بالعلم الحديث/خالد حربي.- ط1.- الكويت: المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، 2007 100ص؛ 24 سم.- (السلسلة التراثية) ردمك: 9-96-34-99906-978 1. الأدب العربي السياسي 2. السياسة- مقالات ومحاضرات 3. المقالات العربية أ. العنوان ب. السلسلة
رقم الأيداع: 2007/353 ردمك: 9-96-34-99906 - 978

إبداع

الطب العربى الإسلامى

مقدمة الدراسة

شـــهد تـــاريخ الطب العربى الإسلامى أعلاماً بارزين ، كلٌ أُدلى بدلوه فى هذا المجال ، أمثال : الرازى ، وابن سينا ، والزهراوى ، وابن زُهــر ، وابـــن الجزار ، وعلى بن رضوان ، وابن النفيس ، وعلى بن العــباس ، وابـــن رشد .. وغيرهم ممن قدموا للإنسانية من المآثر التى مازالت تحسب لهم حتى اليوم ، وكانت أعمالهم جميعاً بمثابة الأسس التى أدت إلى التقدم الطبى المذهل فى الحضارة الغربية المعاشة .

ومـــن الـــثابت أن مـــنظومة الطب العربى الإسلامى فى عصر ازدهارهـــا قـــد تشكلت عبر مراحل مختلفة بدءاً بترجمة علوم ومعارف الأمم الأخرى –وخاصة اليونان– ومروراً بالدراسة والاستيعاب والتنقيح والنقد ، وانتهاءً بالابتكار والإبداع . هذا فيما يتعلق بالطب الجسمى ، أما فيما يخص الطب النفسى ، فإن التقليب والتفتيش والتمحيص والدراسة فى المخطوطات العربية الإسلامية ومحاولة فهمها وتحقيقها ليوضح بصورة جلـــية أن مخطوطات حضارتنا العربية الإسلامية مازالت تحوى كنوزاً وذخائراً لم يكشف عنها بصورة لائقة حتى اليوم ؟. ومن بين هذه الذخائر وتلـــك الكنوز ، علوم بأكملها ، أبدعها العقل العربى الإسلامي ، ولم تنل نصـــيبها الوافى من الكشف والبيان والتبيّين والدراسة ، خاصة وإن منها علوماً مازالت فاعلة حتى اليوم.

ومـــن أهم هذه العلوم ، وأكثرها فاعلية حتى هذه اللحظة ، الطب النفســـى التطبيقى ، أو ما يمكن تسميته "علم النفس العربى الإسلامى" ، الذى يعد ابتكاراً عربياً إسلامياً خالصاً باعتراف الغربيين ، ومع ذلك قلما

نجـــد أيـــاً مـــن الكـــتابات العربية قد أفردت لهذا العلم ، اللهم إلا بعض السطور المتناقلة بين بعض كتب تاريخ العلوم عند العرب ، وربما يرجع سبب هذا الإجحاف إلى أن مكونات هذا العلم القديم –الحديث متناثرة بين أوراق المخطوطات العربية الإسلامية ، وخاصة الطبية منها ، ومعروف أن السواد الأعظم من كتابات ترثانا المجيد ، مازال مخطوطاً – وخاصة التـــراث العلمـــى– فلم يحقق منه إلا نسبة 7% أو ما يربو عنها بقليل . وربما يكون للاستشراق دور فى هذا التوجه ، إذ يندر أن تجد فى كتابات المستشـــرقين ، مـــنذ أن عـــاودوا التنقيب فى المخطوطات العربية إبان منتصـــف القرن التاسع عشر ، أى كتابات مستقلة عن الطب النفسى أو علم النفس العربى ، فسلك الكتّاب العرب نفس مسلكهم !

وعليه فإنى أفترض مسبقاً أن تاريخ العلم العربى الإسلامى ، شهد إبـــداعاً للطـــب النفســـى ، أو علم النفس ، وحتى أتحقق من صحة هذا الفـــرض ، علـــىّ أن أدرس الموضوع دراسة علمية منهجية تقوم على فـــرض الفروض ، ثم التحقق من صحتها ، بعدما لاحت الملاحظة أولاً بوجود الموضوع كشذرات متناثرة بين أوراق من-تاريخ علوم الحضارة العربية الإسلامية .

وأود أن أنـــبه أننـــى لا أزعـــم أن العلماء التى تبحث فيهم هذه الدراســـة هم كل العلماء الذين ساهموا فى علم النفس العربى الإسلامى ، بل هم عبارة عن نماذج تمثل موضوع هذه الدراسة التى تحاول أن تجيب علـــى بعض التساؤلات التى تطرحها ، والمتفرعة من الفرض الرئيس ، وهى :

- هل وجد الأطباء العرب والمسلمون فى إطلاعهم على تراث الأمم الأخرى –وخاصة اليونان– أى اهتمام بمعالجة الجانب النفسى للمريض ؟
- كيف تعامل أطباء اليونان مع أصحاب الأمراض مستحيلة البُرء ، ومنها الأمراض النفسية تبعاً لقسم أبقراط ؟
- كيف تعامل أطباء العرب والمسلمين مع مثل هذه الأمراض ، هل نهجوا نهج أسلافهم ، والتزموا بقسم أبقراط ؟ أم تعدوه فيما يتعلق بالأمراض النفسية ؟
- ما الحجم الحقيقى لإنجازات العلماء العرب والمسلمين فى هذا الميدان ؟ وما أثرها فى علم النفس الحديث ؟

أسئلة منهجية وجوهرية تحاول هذه الدراسة الإجابة عليها .

مدخل :

استند العلاج النفسى خلال عصور التاريخ قبل العرب والمسلمين إلـــى السـحر ورد المرض النفسى إلى قوى شريرة فى استخدام الرقي والتمائم والتعاويذ.

ففى الحضارة اليونانية كان يعتقد أن الشفاء من الأمراض النفسية يســتلزم أن ينام المريض فى هيكل خاص، حيث يتم شفاءه بمعجزة تحل بجسـده فـى الليلة الوحيدة التى يقضيها فى ذلك الهيكل ولقد اقتصرات الآفـاق الخلقية فى الطب اليونانى على قسم أبى أبقراط الشهير[1] والذى كـان مضـمونه أن يقسم كل طبيب للأرباب والربات من أمثال أبولون، وسكلابيوس، وهجيايا وبيناكيا وغيرهم بأن " يذهب إلى كل البيوت لفائدة مرضـاها دون الذهاب إلى أصحاب الأمراض المستعصية، هؤلاء الذين لا يرجـى شفاءهم، وكان ذلك استناداً إلى تعريف أبقراط للطب " بالفن الذى ينقذ المرضى من آلامهم ويخفف من وطأة النوبات العنيفة، ويبتعد عن معالجة الأشخاص الذين لا أمل فى شفائهم، إذ أن المرء يعلم أن فن الطب لا نفع له فى هذا الميدان".

هكذا كان الوضع فى الحضارة اليونانية ، فهل تقبل أطباء العرب والمسـلمون ذلك الوضع الذى نص عليه قسم أبقراط ، أم كان لهم وجهة نظر أخرى ؟

نرجـئ الإجابة على هذا السؤال الحضارى الهام ، لعلها تتضح

---

(1) انظر نص القسم فى: ابن ابى اصبيعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار الحياة بيروت (د.ت) ص45.

بنفســـها جلـــيّة واضحة من خلال الوقوف على موقف علماء الحضارة العـــربية الإســـلامية بصـــدد معالجـــة الأمراض مستحيلة البُرء ومنها الأمراض النفسية ، وذلك فى الصفحات التالية :

المبحث الأول
أبو بكر الرازى

يُعـد أبو بكر محمد بن زكريا الرازى (250-313 هـ/864-925م) أبـرز أطـباء العرب والمسلمين ، بل هو طبيب المسلمين بدون منازع ، سماه معاصروه ، جالينوس العرب ، وأسميته حجة الطب فى العالم منذ زمانه إبان القرن الثالث الهجرى ، وحتى السابع عشر الميلادى[1]. وكل ذلك إنما يرجع إلى الإسهامات الطبية والعلاجية الأصيلة التى قدمها الرازى ، وأفادت منها الإنسانية جمعاء .

فالرازى هو أول من وصف مرض الجدرى والحصبة ، وأول من ابتكر خيوط الجراحة المسماه "بالقصاب" ، وتنسب إليه عملية خياطة الجروح بأوتار العود . ويعد الرازى أول من اهتم بالجراحة كفرع من

---

(1) ولد الرازى بالرّى إحدى مدن إيران القديمة ، وكان يضرب العود فى صباه . ثم نزع عن ذلك وأكب على النظر فى الطب والفلسفة ، فتعلم فى بغداد وتنقل فى شبابه بين البلاد المختلفة زيادة فى العلم ، ثم عاد إلى بغداد مرة أخرى تلبية لدعوة الخليفة المنصور ، وذلك بعد أن تعلم من العلاج الإغريقى ، والفارسى ، والهندى ، والعربى الحديث . ثم عاد إلى مدينته "الرى" وتقلد منصب مدير بيمارستانها الذى دبره . ولم يطل الزمان حتى أصبح طبيباً عظيم الشأن ، فاستحق أن يفوز بصداقة الملوك والأمراء وحب الشعب . ثم انتقل الرازى من بيمارستان "الرى" إلى مزاولة المهنة فى البيمارستان العضدى ، والذى كان بمثابة أكبر مستشفى فى العاصمة عصرذاك. وقد تمكن الرازى من الفوز بمنصب رئيس الأطباء فى هذا المستشفى الكبير ، الأمر الذى جعل الخليفة يفتح له أبواب قصره ليكون الطبيب الخاص به . ولم يمض وقت طويل حتى أصبح الرازى ذائع الصيت فى طول البلاد وعرضها ، وطبقت شهرته الآفاق ، فأصبح حجة فى الطب ، ومرجعاً نهائياً لكل الحالات المستعصية ، يسعى إليه كل من أراد الصواب من كل حدب وصوب ، مرضى كانوا أم طلاباً . وللرازى مؤلفات كثيرة من أهمها وأشهرها "الحاوى" ، "المنصورى" ، "التجارب" ، "برء ساعة".. وغير ذلك (انظر حياه وأعمال الرازى تفصيلاً فى خالد حربى ، الرازى الطبيب وأثره فى تاريخ العلم العربى ، دار ملتقى الفكر ، الإسكندرية 1999).

الطـب قائم بذاته ، ففى الحاوى وصف لعلميات جراحية تكاد لا تختلف عـن وصـف مثيلتها فى العصر الحديث[1]. وهو أيضاً أول من وصف عملـية اسـتخراج المـاء من العيون. واستعمل فى علاج العيون حبات "الاسـفيداج" . وكشـف الرازى طرقاً جديدة فى العلاج ، فهو أول من استعمل الأنابيب التى يمر فيها الصديد والقيح والإفرازات السامة. وأسهم الـرازى فـى مجـال التشخيص بقواعد لها أهميتها حتى الآن ، منها: المراقبة المستمرة للمريض . والاختبار العلاجى ، وهو أن يُعطى العليل علاجاً ، ويراقب الطبيب أثره ، ليوجه التشخيص وفقاً لهذا الأثر . ومنا أهمـية ودقـة اسـتجواب المريض ، فينبغى للطبيب أن لا يدع مساءلة المـريض عن كل ما يمكن أن يتولد عن علته من داخل ، ومن خارج ، ثم يقضى بالأقوى ..

وللـرازى إسهامات طبية وعلاجية أخرى رائدة عبرت بحق عن روح الإسلام وحضارته العلمية إبان عصورها المزدهرة ، وعملت على تقـدم علـم الطـب، وأفادت منها الإنسانية بصورة لا يستطيع أحد أن ينكرها.

هـذا فـيما يـتعلق بالطب الجسمى، أما الطب النفسى، فإننا نجد الـرازى يتعدى الحدود الأخلاقية الأبقراطية حيث رآها قاصرة، ويفكر كـأول طبـيب فى معالجة المرضى الذين لا أمل فى شفائهم، فكان بذلك رائداً فى هذا المجال. لقد رأى الرازى أن الواجب يحتم على الطبيب ألا

---

(1) الـرازى ، الحـاوى الكبير فى الطب ، طبعة حيدر أباد الدكن بالهند 1955 ، الجزء الثانى ، ص 266.

يترك هؤلاء المرضى " وأن عليه أن يسعى دوماً إلى بث روح الأمل فى نفس المريض، ويوهمه أبداً بالصحة ويرجيه بها، وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس[1].

ومن أشهر الأمراض التى اعتبرها سابقوه مستحيلة البُرء ، وعالجها الرازى، الأمراض النفسية والعقلية والعصبية، وكما فعل الرازى بالنسبة للأمراض العضوية من تقديم وصف مفصل للمرض يشرح فيه علاماته، وأعراضه، ثم يصف له العلاج المناسب، فإنه قد فعل نفس الشيء بالنسبة لهذه الأمراض. ومن الأمثلة على ذلك قوله: "الغم الشديد الدائم الذى لا يعرف له سبب ، وخبث النفس، وسوء الرجاء ينذر بالمالنخوليا"[2] ثم نراه يقدم وصفاً بليغاً لهذا المرض فيقول : " ومن العلامات الدالة على ابتداء المالنخوليا ، حب التفرد والتخلى عن الناس على غير وجه حاجة معروفة أو علة كما يعرض للأصحاء لحبهم البحث والستر للأمر الذى يجب ستره. وينبغي أن يبادر بعلاجه لأنه فى ابتدائه أسهل ما يكون ، ويعسر ما يكون إذا استحكم. وأول ما يستدل على وقوع الإنسان فى المالنخوليا ، هو أن يسرع إلى الغضب والحزن والفزع بأكثر من العادة ويحب التفرد والتخلى، فإن كان مع هذه الأشياء بالصورة التى أصف، فليقوظنك، ويكن لا يفتح عينيه قليلاً وشفاههم غليظة ، وصدورهم وما يليها عظيم، وما دون ذلك من البطن ضامر، وحركتهم

---

(1) انظر كتابى ، الرازى الطبيب وأثره فى تاريخ العلم العربى ، ملتقى الفكر ، الإسكندرية 1999 ، ص 169.

(2) الرازى ، المنصورى فى الطب، تحقيق حازم البكرى الصديقي، معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، 1987، ص 211.

قــوية سريعة لا يقدرون على التمهل ، دقاق الأصوات، ألسنتهم سريعة الحــركة بــالكلام، ولا يظهــر فى كل هؤلاء قيء وإسهال معه كيموس أسود، بل ربما كان الأكثر الظاهر منهم البلغم، فإن ظهر فى الاستفراغ، شــئ أسود، دل على غلبة ذلك وكثرته فى أبدانهم، وخف منهم مرضهم قليلاً[1].

وينصــح الرازى أصحاب هذا المرض بالسفر والانتقال إلى بلد آخــر مغايــر لبلدهم فى المناخ، فيقول : " إذا أزمن بالمريض المرض، وطــال فانقلــه مــن بلده إلى بلد مضاد المزاج لمزاج علته، فإن الهواء <الدائــر> لقائــه يكون عاجلاً تاماً ، وقد برأ خلق كثير من المالنخوليا بطول السفر[2].

عن أعراض مرض الصرع يقول الرازى: " الكابوس والدوار إذا داما وقويا، ينذران بالصرع، فلذلك ينبغي أن لا يتغافل عنهما إذا حدثا ، بودر بعلاجهما على ما ذكرنا فى موضعه "[3].

فما هى ماهية الصرع ؟ يجيب الرازى[4]: الصرع تشنج يعرض فى جميع البدن ، إلا أنه ليس بدائم ، لأن علته تنقضى سريعاً. وما ينال فــيه الأعضاء التى فى الرأس مع جميع الجسد من المضرة يدل على أن

---

(1) الرازى، الحاوى الكبير فى الطب، 1 / 75.

(2) الــرازى المرشــد أو الفصول ، تحقيق ألبير زكى اسكندر ، مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد السابع، مايو 1961، ص 116.

(3) الــرازى ، المنصورى فى الطب ، ص 211 ، وانظر معالجات الرازى للصرع فيما سيأتى.

(4) الرازى ، الحاوى 117/1.

تــولد العلة يكون فى الدماغ. وينبغى أن يرتعش البدن ويرتعد بنِفض ، لأن هذه الحركة تقصد إلى دفع شيئ مؤذى ، والتشنج الحادث فى البدن إنما هو تابع لتلك الحركات المختلفة التى تهيج لدفع المؤذى. ويدلك على ذلك إنك تراها تتقلص مرة وتمتد مرة فى زمان قصير،وعلى غير لزوم.

ونظــراً لأن الدفع يحدث بالقبض والانضمام ، فإن هذه الحركات تكــون أكثــر، ومــن أجلها تحدث حركات التشنج فى البدن كثيراً. فإما حركات الانبساط ، فأقل ، لأنها ليست بقصد أولى، بل للروح فقط. وهذا الســب أولـــى وأقـــنع أن يتوهم فى علة الحركات التشنجية الحادثة من المصروع[1] .

وتتجلى مهارة الرازى فى أنه لم يكتف فى نظريته فى التشخيص التفريقى بالتفرقة بين أغراض الأمراض العضوية فحسب ، بل نراه أيضاً يفرق بين أعراض بعض الأمراض النفسية أو العصبية . ومن أمثلة ذلك تفرقته بين نوعين للصرع هما : الصرع الخِلقى ، والصرع العرضى ، فــيقول : "الصـــرع يحدث فى طريقتين ، إما أن يولد الطفل مصاباً به بســبب رطوبة وعفونة باردة فى المزاج الطبيعى للدماغ ، أو أن يكون حدوثــه عرضــياً بعد الولادة . وشفاء النوع الأول الولادى هو ملاحظة الغذاء ، لأن الطفل حينما يتجاوز هذه المرحلة يشفى منه"[2].

ومن أمثلة معالجات الرازى النفسية ما يلى :

استُدعى الرازى لعلاج أمير بخارى الذى كان يشكو من آلام حادة

---

(1) الرازى ، الحاوى 117/1- 118 .

(2) خالد حربى ، الرازى الطبيب ، م. س ، ص 144.

فى المفاصل لدرجة أنه كان لا يستطيع الوقوف، وعالجه الرازى بكل ما لديـــه مـــن أدوية، ولكن دون جدوى. وأخيراً استقر الرازى على العلاج النفسي، فقال للأمير أنه سوف يجرب علاجاً جديداً غداً، ولكن على شرط أن يضـــع الأمير أسرع جوادين لديه تحت تصرفه، فأجابه الأمير. وفى الـــيوم التالى ربط الرازى الجوادين خارج حمام بظاهر المدينة، ثم دخل هـــو والأميـــر غـــرفة الحمام الساخنة، وأخذ يصب عليه الماء الساخن، وجـــرّعه الـــدواء. ثـــم خرج ولبس ملابسه وعاد شاهراً سكيناً فى وجه الأمير، مهدداً إياه بالقتل، فخاف الأمير، وغضب غضباً شديداً، وسرعان ما نهض واقفاً على قدميه، بعد أن كان لا يستطيع، وهنا فرّ الرازى من الحمام إلى حيث ينتظر خادم الأمير مع الجوادين، فركبا وانطلقا بسرعة. وعـــندما وصل الرازى إلى بلده، أرسل إلى الأمير رسالة شارحاً فيها ما حـــدث من أنه لما تعسر علاجه بما أوحاه إليه ضميره، وخشى من طول مـــدة المـــرض، لجاء إلى العلاج النفسانى واختتم الرسالة بأنه ليس من اللـــياقة أن يقابـــل الأمير بعد ذلك، فلما عزم الرازى على عدم الرجوع، أرســـل إليه مائتى حمل من الحنطة، وحلة نفيسة، وعبد وجارية، وجواد مُطعم، وأجرى عليه ألفى دينار سنوياً " [1].

وهـــذا المثال يوضح أن الرازى قد أدرك أثر العامل النفسى فى صحة المريض. وليس هذا فحسب بل وفى إحداث الأمراض العضوية، مـــن ذلـــك مـــثلاً أن سوء الهضم يكون له " أسباب بخلاف رداءة الكبد

(1) الرازى، كتاب منافع الأغذية ودفع مضارها، شرح وتعليق حسين حموى، دار الكتاب العربى ، سوريا 1984 . المقدمة ، ص 23-24.

والطحال، منها حال الهواء والاستجمام، ونقصان الشرب، وكثرة إخراج الدم والجماع، والهموم النفسانية "[1].

وبـــذلك يكــون الرازى قد تنبه إلى ما يسمى فى العصر الحديث بالأمــراض النفسجســمية Psychomatic diseases وهـــى موضوع اهــتمام أحدث فروع الطب الذى يقرر أن[2] : العلاقة بين النفس والجسد أمر هام .. فالكائن الإنسانى يتكون من هذين الشقين اللذين يتكاملان معاً ، ويؤثــر كل منهما فى الآخر ويتأثر به ، فهناك لغة متبادلة بين النفس والجســد ، وهــذا مــا يجعــل الإنســان تــبدو عليه مظاهر المرض والاضــطرابات حين تصل الانفعالات والصراعات النفسية لديه إلى حد يفــوق احتماله ، كما أن الجسم حين يصيب الخلل بعض أجهزته ، فإن الحالة النفسية تتأثر تبعاً لذلك .. والعلاقة بين الحالة النفسية وحالة الجسد تحــدث فى الصحة والمرض على حد سواء ، فالواحد منا حين يتعرض لموقــف خوف ، يخفق قلبه بشدة ، وترتعد أطرافه ، ويبدو على وجهه الشحوب ، وكل هذه تغييرات فى وظائف وحالة الجسم نتيجة للانفعالات النفســية المصاحبة لشعور الخوف . وهذا مثال على فعل طبيعى يحدث فى أى شخص عادى ، لكن الانفعالات الشديدة والصراعات الداخلية التى يتم كبتها وعدم التعبير عنها قد يتراكم أثرها ليتسبب فى النهاية فى خلل داخلـــى فـــى وظائف أجهزة الجسم ، فيحدث المرض ، وهنا يطلق على الحالـــة أنهـــا "النفسجســـدية Psychosomatic لأن الأصل فى ظهور

---

(1) الرازى الحاوى ، جـــ 3، ص 63.

(2) لطفى الشربينى ، الطب النفسى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية 2003 ، ص 30-31.

المرض والخلل الجسدى يرجع فى البداية إلى عوامل نفسية .

ومـن أمـثلة الحالات النفسية التى عالجها الرازى بما هو متبع الآن فـى الطب النفسى، حالة[1] انشغال النفس فى الأشياء العميقة البعيدة التـى إذا فكـرت فـيها (أى نفس) لم تقدر على بلوغ عللها، فحزنت واغتمت فى عقلها، فيقول:

إن رجـلاً شـكا إليه، وسأله أن يعالجه من مرة سوداوية. فقال الـرازى: فسألته: ما تجد ؟ فقال أفكر فى الله تعالى من أين جاء، وكيف ولد الأشياء. فأخبرته أن هذا فكر يعم العقلاء أجمع. فبرأ من ساعته، وقد كان اتهم عقله حتى أنه كاد يقصر فى ما يسعى فيه من مصالحه، وغير واحد عالجته بحل فكره.

والـذى نلاحظه فى هذه الحالة، أنه استعمل التحليل النفسى فقال (عالجـته بحل فكره)، وهو ما يفعله الأطباء النفسانيون حالياً فى معالجة مثل هذه الحالات.

ويعتبـر قول الرازى السالف الذكر " فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس " دليلاً واضحاً على أولوية النفس فى الصلة بينها وبين الجسم. لذا ينصـح الرازى بأن يكون طبيب الجسم، طبيباً للنفس أولاً، فيستطيع أن يقـف على ما يجرى فى نفس المريض من خواطر، ويستشف من خلال ملامحه الظاهرة ما يعينه على تشخيص المرض العضوى، ولأهمية هذا الجانـب صنف الرازى كتاباً خاصاً أسماه " الطب الروحانى " قصد فيه إصلاح أخلاق النفس.

---

(1) الرازى، الحاوى، جـ 69/1.

والناظـــر فى موضوعات هذا الكتاب[1] يرى أنها مفيدة جداً على الأقـــل بالنسبة للطبيب أو المعالج النفسانى كأخلاق ينبغى أن يتمسك بها، خاصة وهو يعالج الاضطرابات النفسية.

ولقـــد تمســـك الرازى بالتوازن القائم بين النفس والجسد، وأبرز الصـــلة بيـــنهما، وإلى أى حد يوجد تأثير وتأثر بينهما وذلك من خلال فصول كتابه العشرين، والتى يتضح منها أيضاً أن للنفوس أمراضاً يمكن علاجهـــا كأمـــراض الأبدان تماماً، وإن الجسم المريض ينتج عنه أخلاقاً رديـــئة، وعلاجهـــا إنما هو علاج لهذه الأخلاق. وإن الأثر النفسى على مزاج الجسد يحدث الوسواس والمالنخوليا[2].

ولـــم يـــتوقف الـــرازى فى معالجة مثل هذه الأمراض عند حد

---

(1) كتاب الطب الروحانى للرازى يقع فى عشرين فصلاً هى كما يلى:

الأول : فى فضل العقل ومدحه. الثانى : فى قمع الهوى وردعه وجملة من رأى أفلاطون الحكيم. الثالث : جملة قدمت قبل ذكر عوارض النفس الردية على انفرادها. الرابع : فـــى تعرف الرجل عيوب نفسه. الخامس : فى دفع العشق والألف وجملة من الكلام فى اللـــذة. السادس : فى دفع العجب. السابع : فى دفع الحسد. الثامن : فى دفع المفرط الضار من الغضب. التاسع فى اطراح الكذب. العاشر : فى اطراح البخل. الحادى عشر : فى دفع الفضـــل الضار من الفكر والهم. الثانى عشر : فى دفع الاستهتار بالجماع. السادس عشر :فى دفع الولع والعبث. السابع عشر : فى مقدار الاكتساب والاقتناء والإنفاق. الثامن عشر : فـــى المجاهدة والمكادحة على طلب الرتب والمنازل الدنياوية والفرق بين ما يرى الهوى وبـــين مـــا يـــرى العقل. التاسع عشر : فى السيرة الفاضلة . العشرون : فى الخوف من الموت.

(2) ســـناء عـــبد الحميد ، النفس بين النظر والتطبيق عند محمد بن زكريا الرازى، رسالة ماجستير- كلية الآداب – جامعة الإسكندرية 1987، ص 166.

استخدام ذكاءه، وفهم مشاعر المريض، بل نراه ينصح باستعمال الأدوية والأعشــاب الطبيعية تماماً كما فى معالجة الأمراض العضوية. فمن ذلك قوله : "... ولوجع الفؤاد يدق الجرجير ويشرب ثلاثة أيام على الريق مع الزبيب "[1]. ولزيادة الفائدة يذكر أن من المعالجات ما يكون صالحاً لعلل عضوية ونفسية فى آن واحد فيقول: يسقى من الراسن درهمين بماء حار للهــم والغــم ووجع الفؤاد وفم المعدة [2]. فالهم، والغم، ووجع الفؤاد من المشاعر النفسية، بينما يندرج ألم فم المعدة ضمن سلسلة العلل العضوية.

وهــاك طــرفاً من معالجات الرازى للأمراض النفسية بالأدوية والمواد الطبيعية ، مع تحقيق نصوصها : فى علاج الصرع والمالنخوليا وأنواع الجنون :

الصــرع علاجــه[3]: أن يــؤخذ أفتــيمون[4]، وعاقــر قرحا،

---

(1) الرازى ، جراب المجربات وخزانة الأطباء ، دراسة وتحقيق خالد حربى ، ط الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006 ، ص 76.

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(3) الصــرع Epilepsy : هــو مــرض عصبى يتصف بنوبات تشنجية مع فقد الإدراك والغيب من الوعى ، تبدأ النوبة بأن يصرخ المريض ويهوى على الأرض ، فيتصلب بدنه ويتشــنج ويــزرق وجهه ، وربما يعض لسانه ، ثم يتهيج ويخرج زبد من فمه . وبعد ذلك يدخل فى دور النوم العميق المصحوب بشخير ، وبعد فترة قصيرة تزول الحالة فيصحو من غير أن يتذكر أى شئ مما جرى له . (مختصر الجامع لابن البيطار ، تحقيق أبى مصعب البدرى ، دار الفضيلة ، القاهرة بدون تاريخ ، ص 260)

(4) أفتــيمون : يونانى معناه **دواء الجنون** ، وهو نبات له أصل كالجزر ، شديد الحمرة ، وفروع كالخيوط الليفية تحف بأوراق دقيقة خضراء ، وزهر يميل إلى حمرة وغبرة ، وبذر دون الخردل أحمر إلى صفرة أجودة الحديث المأخوذ فى بؤنة (داود الأنطاكى ، التذكرة ، مكتبة الثقافة ، القاهرة بدون تاريخ ، جـ1 ، ص 58). . وقال فى منافعه الشيخ الرئيس : =

واصطاخوذس[1] ، وبسفانيخ[2] ، يدق <الجميع>[3] ، ويعجن بزبيب ويتناول منه قدر الجوزة ، فإنه يدفع عنه الصرع فى ذلك الأسبوع ، إن شاء الله تعالى[4].

إذا كان بخار يرتفع من موضع من أعضاء المصروع ، ينبغى أن يمرخ ذلك الموضع بخردل ، أو جندبيد ستر[5] لأنه يجتمع فى ذلك

= يوافق الكهول والمشايخ ، وينفع من **التشنج والمالنخوليا والصرع** . ويكرب الذين يغلب على مزاجهم الصفراء ويقيئهم ، وهو مما يعطش (ابن سينا ، القانون فى الطب ، طبعة مؤسسة الحلبى عن طبعة القاهرة القديمة ، بدون تاريخ ، جـ1، ص 252).

(1) اصطاخوذس ، اسطوخودس Lavandula Stoechos: اسم يونانى قال ابن الجزار إنه يعنى : موفق الأرواح أو حافظها . ومن أسمائه : الكمون الهندى ، اللحلاح فى بلاد المغرب ، وفى أوربا الخزامى ، وعرفه العرب باسم الضرم . وهو عبارة عن شجيرات برية لا يزيد ارتفاعها على قدمين ، بعضها منتصب وبعضها منبطح ، أوراقها خيطية ، وأزهارها بنفسجية أو بيضاء اللون بشكل سنبلة بيضاوية الشكل . ولكل من الأوراق والأزهار رائحة عطرية مقبولة وطعم حريف مع مرارة يسيرة . قال عنه جالينوس : طعم هذا النبات ومزاجه مركب من جوهر أرضى بسببه يقبض ، ومن جوهر أرضى آخر لطيف كثير المقدار بسببه صار مرا ، وبسبب تركيب هذين الجوهرين صار يمكن أن يفتح ويلطف ويجلو ويقوى جميع الأعضاء الباطنة والبدن كله .(ابن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، دار الكتب العلمية بيروت 1992 ، جـ1 ، ص 33).

(2) بسفانيخ = إسفاناخ = إسبانخ Spinage , Garden Spinach ، وهو نبات السبانخ المعروف .

(3) زيادة يقتضيها السياق .

(4) الرازى ، بُرء ساعة ،دراسة وتحقيق خالد حربى ، الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

(5) جندبيدستر ، وايضاً : جند بادستر : إفراز حيوان مائى يسمى الحارود بالعربية ، والقندسى بالفارسية . يعيش ويتغذى فى الماء على السراطين ، وبعض أنواع الأسماك ،=

الموضـــع بخـــار حار يغلب على بطون الدماغ إذا تصاعد إليه . وإنما يعـــالج الدماغ بالحرارات لأن ذلك البخار يحلل عنه شيئاً كثيراً أكثر مما يجب ، فَبَرّدْ ذلك ويَبِسْ(1).

أمـــر لصـــبى ابن ثلاث سنين كان يصرع من غير حمى ، بأن يـــؤخذ أهلـــيلج أســـود ، وكابلى(2) عشرة دراهم ، اسطوخوذوس خمسة

= وينام على اليابس ، وإفرازه عبارة عن مادة رخوة شبيهة بالعسل ، إذا تعرضت للهواء ، تجمدت ، مع بقاء رائحتها النفاذة (انظر ، خالد حربى فى دراسته وتحقيقه لكتاب مقالة فى النقرس للرازى ، الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، بالإسكندرية 2005 ، هامش ص 68).

(1) الرازى ، كتاب التجارب ، دراسة وتحقيق خالد حربى ، الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006 ، ص 99.

(2) أهلـــيلج وهلـــيلج : شـــعير له أربعة أنواع : الأصفر ، والأسود ، الصغير منه يسمى الشـــعير الهـــندى ، والأســـود الكبير يسمى كابلى (نسبة إلى كابول عاصمة أفغانستان) والدقيق منه يسمى بالصينى . يقول الرازى : الأصفر منه يسهل المرة الصفراء ، والأسود الهندى يسهل السوداء ، والذى فيه عفوصة لا يصلح للإسهال ، بل يدبغ المعدة ، ولا ينبغى أن يـــتخذ للإســـهال ، لكن يتخذ ماؤه مع السكر . وأجود الهليلج ما رسب فى الماء . وقال حبـــيش بـــن الأعســـم : إصـــلاحه إذا شُرب مدقوقاً بالماء الحار ، وأن يخلط بالسكر أو بتـــرنجبين ليمنع شدة قبضه ، وإذا طبخ مع الأجاص (البرقوق) والعناب والبستان وشرب كـــان اصلح لأن لهذه الأدوية لزوجات مغرية تكسر من قبضه ، ويُكسر هو من لزوجتها ، فيعتدل قبضه ، فيكون دواء دافعاً. ومقدار ما يشرب منه مدقوقاً مخلوطاً مع السكر ، ملتوتاً بدهن اللوز الحلو من خمسة دراهم إلى سبعة دراهم ، ومحلولاً بالماء من عشرة دراهم إلى خمسة عشر درهماً ، فله خاصية فى إسهال المرة السوداء ، وينشف ما يتولد من احتراقها فـــى المعـــدة ، وهـــو ينشـــف البلغم أيضاً ، ويفعل فى إخراج الصفراء ، وليس كفعله فى السوداء. وأما الهندى فيقرب منه ، إلا أنه ليس له قوة الكابلى ، ومقدار الشربة منه مدقوقاً مـــن مـــثقال إلى مثقالين ، ومن طبيخه من خمسة دراهم إلى عشرة (راجع ابن البيطار ، الجامع 4/502 – 503).

دراهـــم غاريقـون[1] درهمـــين ونصـــف ، ساليـوس[2] ثلاثـــة دراهـــم، قـــردمـــاناً[3] حـــاد الرائحة ثلاثـــة دراهـــم ، جنطيانـــا[4]،

---

(1) غاريقون : يعزى استخراجه إلى أفلاطون ، وهو رطوبات تتعفن فى باطن ما تآكل من الأشـــجار مثل التين والجميز ، وقيل هو عروق مستقلة أو قطر يسقط فى الشجرة والأنثى مـــنه الخفيف الأبيض الهش ، والذكر عكسه ، وأجوده الأول ، وهو مركب القوى ومن ثم يعطـــى الحـــلاوة والحرافة وتبقى قوته أربع سنين . إذا عجن بالكابلى والمصطكى ، نقى البخار وشفى الشقيقة وأنواع الصداع العتيق المزمن ، ومع ربُ السوس والأينسون لأوجاع الصـــدر والسعال والربو وعسر النفس ، ويدهن اللوز الرئة ، والفاوانيا الصرع ، والروائد أمـــراض الكـــبد والمعدة والظهر والكلى ، (داود الأنطاكى ، تذكرة أولى الألباب ، الجامع للعجب العُجاب ، المعروفة بتذكرة داود ، مكتبة الثقافة ، القاهرة (د.ت).

(2) الســـاليوس : هـــو سالى ، ومسالى ، وفريطيقون : نبت ينبت فى المواضع الوعرة ، والمائية ، وعلى التلال . له ورق شبيه بورق الرازيانج ، إلا أنه أغلظ منه ، وساقه أخشن ، وعليه إكليل شبيه بإكليل الشبت . فيه ثمر طويل إلى حد ما . قوة ثمره وجذره مسخنة ، وإذا شـــربا ، أبرأ تقطير البول ، وعسر النفس . وينفعان من أوجاع الأرحام التى يعرض معها الاختناق ويدران الطمث ويحدران الجذين ، يبرئان السعال المزمن أكثر من غيرهما . والثمرة إذا شربت هضمت الطعام ، وحالت المغص . (ابن البيطار ، الجامع 3/16-17).

(3) القـــردمانا Cukooflower : نـــبات عشـــبى حولـــى شتوى من الفصيلة الصليبية Crciferae ، ينتشـــر فى أوربا وآسيا والهند تستعمل بذوره كتوابل حريفة الطعم ، طوله حوالـــى متـــر ، وثمـــاره خردلة ، والأوراق بسيطة بيضية مفصصة وشرب مغلى النبات مسهل ، وأكل الأوراق مسخن للجسم . والدهان بمغلى النبات يدمل الجروح ويزيل الكلف ، واللحـــم الـــزائد مـــثل الكالو ، السنطة . (على الدجوى ، موسوعة النباتات الطبية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة 1996 ، جـ1 ، ص 203).

(4) جنطـــيانا : بالفارسية كرشد ، والعجمية بشلشكة ، وأسمها هذا يونانى مأخوذ من اسم جنطيان أحد ملوك اليونان ، قيل لأنه أول من عرضها ، وكان ينتفع بها من أمراضه . وقد تسمى جنطياس ، وهى أغلظ من الراوند ، وورقها مما يلى الأرض كورق الجوز ثم يصفر =

وحب الغــار[1] ، وراونــد[2] مــن كــل واحــد درهــم ، عنصــل[3]

= ، ويطــول الأصــل نحو شبر ويزهر زهراً أحمر إلى الزرقة ، يخلف ثمراً كالسمسم ، وكلما أحمر هذا النبات ، كان أجود . (تذكرة داود 123/1 - 124).

(1) الغار Laurel : شجرة صغيرة تستوطن آسيا الصغرى ، شكلها بديع ، وقد استخدمت أوراق الغــار مــنذ القــدم رمزاً للانتصار ، وهى مرة وعطرة ، والشجرة دائمة الخضرة يستخرج من أوراقها زيت الغار الطيار ، وزيت آخر غير طيار . وتستخدم الأوراق بكثرة فــى الطــبخ لتحسين طعم المأكولات ، كما يستعمل الزيت فى صناعة الصابون أو طارد للحشــرات ، كما يضاف إلى اللحوم والأسماك المحفوظة أو المطبوخة فيحسن من طعمها .(شكرى إبراهيم ، نباتات التوابل والعقاقير ، طبعة دار الفكر العربى ، القاهرة بدون تاريخ ، ص197).

(2) الــراوند : تذكــره بعــض الكتب "ريوند" وهو نبات عشبى حشيش معمر من الفصيلة البطاطية متفرع ، فى قمته جذور كبيرة الحجم ، خشبية صفراء اللون معرقة من الباطن ، طعمها مُر ، ورائحتها لها خاصية متميزة ، وفيها جوهر مسهل (الرازى ، المنصورى فى الطب ، الطبعة المحققة ، ص 604).

(3) العنصــل : هو البصل العنصل أو (بصل فرعون) : عشب معمر من العائلة الزئبقية Liliaceae ، لــه أبصــال كبيرة ، وقد تصل الواحدة منها إلى 8 كيلو جرام ، والأوراق رمحية الشكل ، تظهر فوق سطح الأرض فى الربيع ، وتحمل الأزهار على حامل زهرى طــويل ، والزهــرة صــغيرة ، والثمــرة علبة كروية الشكل تحوى بذوراً سوداء لامعة . والبصل العنصل صنفان هما :

1- العنصــل الأبـيض Whitesquill : وهــو يتميــز بلون قشرته الخارجية الصفراء ، ويعرف بالصنف الإيطالى .

2- بصــل العنصــل الأحمر ، (بصل الفأر) Read seuqill ويعرف بالأسبانى ويرجع اللون الأحمر إلى وجود مادة الأنثوسيانين فى الأوراق .

ويســتعمل بصــل العنصل الأحمر كمبيد للفئران ، وتعتبر مادتا السيلارين (أ) ، (ب) هما المادتــان التــى يــرجع إلــيهما مفعول النبات فى علاج أمراض القلب فهما مقويان له ، وتساعدان على تحسين ضرباته ، كما تساعد مادة سيلارين (ب) على ارتفاع ضغط الدم . كمــا أن النــبات مــدر للبول ، ويستعمل فى حالة الاستسقاء ، وكمنفث قوى ، ويدخل فى تــركيب أدويــة الكحة وأدوية الالتهابات الرئوية المزمنة (على الدجوى ، م .س 387/1-388).

مشـــوى ثلاثـــة دراهـــم ، يجمـــع <الجميع>[1] بعسل منزوع الرغوة ، ويعطـــى كـــل يـــوم قدر بندقة . ويجوع بعد ساعتين أو ثلاثة ، ويلطف غذاءه بعد ذلك ، ويُطعم سكنجبين[2] ، أو دجاجة ، أو ما خف من اللحوم ، ويعطس بكندس لو كانت حرارة . ويدلك أسفل لسانه بملح دارانى حتى يسيل منه لعاب كثير، ويتحرك قبل الطعام ، ويتجنب الألبان والغليظ من الأطعمة[3].

شـــكى عن امرأة أنه كان بها ابتداء للصرع . ففصدت وخرج دم كثير ، وخرج بها بهق أبيض. فقال : قد نجوت من الصرع بهذه النفضة التى نفضتها الطبيعة إلى خارج . فقلت : لو آمنت ظهور البرص [الذى يلـــى] [4] غائلـــة الصرع . فأمر بأن [تشرب] [5] فى كل شهر شربة من حـــب القـــوقايا ، ويكـــون غذاؤها قلايا بزيت أو بدهن اللوز ، وتشرب معجون البهق الأبيض ، ثم [تطلى] [6] البهق أيضاً .

امـــرأة كانت تصرع فى القيظ[7][8] ، ولم يتهيأ لها شرب الأدوية مـــن معجون الصرع ، وحب الصرع ، وقد ضعفت ضعفاً شديداً ، أمر

---

(1) زيادة يقتضيها السياق .

(2) ســـكنجبين : مُعـــرب عن سركاأنكبين الفارسى ، ومعناه : خل وعسل ، وهو شراب مشهور يراد به كل حامض وحلو (داود الأنطاكى ، التذكرة 222/1).

(3) الرازى ، التجارب ، وتحقيق خالد حربى ، ص 100 ، 101 .

(4) فى كل النسخ : يلت .

(5) فى كل النسخ : يشرب .

(6) فى كل النسخ : يطلى .

(7) القيظ : الحر الشديد .

(8) ما بين الأقواس ورد فى كل النسخ هكذا : امرأة يصر وكان فى القيظ.

بأن تسقى سكنجبين مع جلنجبين [1].

إذا قُرب الخردل من المنخرين ، حرك العطاس ، ونبه المصروعين . ودهن بذر الحرمل[2] إذا قطر فى الأنف ، نفع . وكذلك العاقر قرحا[3]. والرواند الطويل ينفع من الصرع[4] .

وكذلك العاقر قرحاً إذا دق وعجن بعسل وأكل .

والقسطريون[5] إذا أكل طبيخه ، أبرأ من الصرع والجنون .

---

(1) الجلنجبين : هو الورد المربى بالعسل والسكر على رأى الرازى (ابن البيطار ، الجامع 228/1).

(2) الحرمل : نبات معمر كثير الفروع ، يبلغ ارتفاعه حوالى أربعة أقدام ، أوراقه ذات رائحة قوية غير مقبولة لاحتوائها على زيت طيار ، وثماره كروية بحجم الحمص ، مفصصة فى داخلها بذور متطاولة ، وواحدتها تشبه شكل الكُلية تماماً (أنظر خالد حربى فى تحقيقه لموسوعة جراب المجربات للرازى ، فيما سيأتى).

(3) العاقر قرحا : نبات مُعرب ، وهو مغربى أكثر ما يكون بأفريقيا ، قيل إنه يمتد على الأرض وتتفرع منه فروع كثيرة ، فى رؤوسها أكاليل شبتية ، وزهر أصفر ، واسنان كالبابونج . ومنه شامى يسمى عود القرح وهو أصل الطرخون الجبلى (الكرفس فى مصر) . ومن خواصه يزيل ألم الأسنان والسعال وأوجاع الصدر وبرد المعدة والكبد ، ويفتح السدد ، ويدر الفضلات كلها شرباً ، ويفيد فى أوجاع المفاصل ، والنقرس ، وأوجاع الظهر شرباً وطلاءً ـــ وإذا مزج بالنوشادر ووضع فى الفم ، منع النار أن تحرق اللسان (تذكرة داود 1/ 268).

(4) الرازى ، جراب المجربات وخزانة الأطباء ، دراسة وتحقيق خالد حربى ، الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006 ، ص 161.

(5) القسطريون : هو الجندبادستر ، وقد مر ذكره .

والجاوشير[1] ينفع من الصرع ، وأم الصبيان[2]. والفاوينا[3] نافع من الصرع .

وحب الزلم[4] بليغ فى الصرع الحادث من الرطوبة ، والشربة

---

(1) جاوشير ، وجاوارش ، ويسمى أيضاً الجاروس الهندى ، وهو نوع من الذرة التى إذا طالت قيل : أضرفت الذرة . ويقال للذرة المحجن وهو الذى ينحنى من السنبول والساق (الرازى ، منافع الأغذية ودفع مضارها، تحقيق حسين حموى ، دار الكتاب العربى ، سوريا 1984 ، ص 71).

(2) أم الصبيان : قال داود : مرض يعترى الأطفال سببه عند الأطباء فرط الرطوبة المزاجية واللبنية وضعف الحرارة ، فتصعد الرطوبة بخاراً ورطباً يضرب الرأس فيخمره ، ثم يسبل الصاعد فيحبس النفس ، ويُغشى، وقد يبرد الأطراف ، ولا فرق بينه وبين الصرع إلا عدم الزبد على الفم هذا ... وقد يكون سببه التخم الحادثة للمراضع أو للأطفال أنفسهم بواسطة ما يمازج اللبن من الرائحة الكائنة فيها ... وعلامته الغشى ، وبرد الأطراف ، وتغير اللون ، وتقلص الأعضاء ، وحركة اليد والرجل بغير الإرادة ومداومة حركة الرأس . والعلاج : شرب ربوب الفواكه ، واستعمال العناب ، والشعير ، والخشخاش مغلاة ، وهجر الظفر ، والحلو ، والأدهان بدهن السقط والقرع والبنفسج . ومن مجربات داود : أن يطبخ النفاخ مع ثلثه عناب وربعه شعير مقشور بعشرة أمثال الجميع ماء حتى يبقى ربعه ، فيصفى ويعقد بمثله سكر ويلازم استعماله مع ملازمة دهن الرأس والأطراف بزيت طبخ فيه الذاب والفاوانيا وقليل من ورق الآس الأخضر . (تذكرة داود 15/2-16).

(3) فاونسيا: هو ورد الحمير عند عامة الأندلس، له ساق طولها نحو شبرين، تتشعب منها شعب كثيرة، وورق يشبه ورق الجوز، وعلى طرف الساق غلاف تشبه غلاف اللوز إذا انفتحت منها حب أحمر فى حمرة الدم تشبه حب الرومان، وبين ذلك الحب فى الموضع الوسط حب أسود فيه فرفيرية. من منافعه: أنه إذا شرب من حبه الأحمر عشر حبات بشراب أسود اللون قابض، قطع نزف الدم من الرحم. وإذا أكل أيضاً نفع من وجع المعدة واللذع العارض فيها. وإذا تدخن بثمره، نفع من الصرع والجنون. (جامع ابن البيطار 208/3)

(4) حب الزلم : هو حب العزيز فى مصر .

منه درهم ونصف مع أربعة من السكر[1] .

حضـــر شاب به مالنخوليا ، وقيل أنه نتف لحيته ، ويعبث بتقليع الطين من الحائط . فأمر بأن يفصد الباسليق ، ويخرج الدم إذا كان اسود إلـــى أن يتغير لونه إلى الحمرة . وإن لم يكن أسود يمسك على المكان ، ويسقى فى الشهر مرتين مطبوخ الأفتيمون ، ويغرق رأسه بدهن بنفسج . فقـــيل : قـــد عرض[2] فى خصيته أمثال الحبات . فأمر بأن يضمد ذلك الموضع بضماد يلينه ، ويعطى وزن ثلاثة دراهم أفتيمون مدقوقاً مع لحم أبيض ، فيتناوله بالليل ، ثم من غد يشرب الدواء ليكون أقوى .

أمـــر لـــرجل كـــان به مس من المالنخوليا والنكرة[3] والوحشة والتفـــرغ بأن [يأخذ][4] إهليج كابلى [أسود][5] وزن عشرة دراهم ، ومن الأفتـــيمون الحـــديث المبذر سبعة دراهم ، ومن البسفانيخ ثلاثة دراهم . اســـطوخودوس أربعـــة دراهـــم ، زيت أبيض منزوع <الرغوة> عشرة دراهـــم . يـــنقع الأهليلج والبسفانيخ فى ماء بمقدار ما يغمره بعد الرض يـــوماً ولـــيلة ، ويصـــب فـــى طنجير ، ويغلى غلياً جيداً ، ويطرح فيه الاسطوخودوس ، فالزيت ، ويطبخ الأفتيمون بعد أن يغلى غلية صالحة ويمرّس ، ويصفى ، ويؤخذ منه ثلث رطل ، [ويضاف][6] فيه درهم تربد

---

(1) الرازى ، جراب المجريات وخزانة الأطباء ، وتحقيق خالد حربى ، ص 162.

(2) ب ، ج : يمتد .

(3) هكذا فى كل النسخ .

(4) فى كل النسخ : يؤخذ .

(5) فى كل النسخ : الأسود .

(6) فى كل النسخ : ينأف .

مسحوق ونصف درهم غاريقون ، ودانقين ملح نقى، يمرس <الجميع>[1] مرســاً جيداً بخل[2] ، ويشرب بعد الحمية ، ويتناول فى الشهر مرتين ، ويؤخذ فى سائر الأيام هذا المعجون .

صــفتــه : يــؤخذ اهلــيلج كابلــى مسحــوق خمسون درهماً ، أفتيمــون عشرة دراهم ، كهربــاء[3] خمســة دراهــم ، وزعفــران[4] درهمــيــن ونصــــف ، ورد مطحــــون ثلاثــــة دراهــم ، سنبــل ودورنـــج[5] درهمــيـــن ، درهمــيـــن كزبــــرة يابســة ، أربعــــة

---

(1) زيادة يقتضيها السياق .

(2) زيادة فى كل النسخ : فيه .

(3) كهــرباء : اســم فارسى لنوع من الصموغ الثمينة ، ومعناه رافع التبن ، وذلك بسبب القــوة الجاذبــة التى تحدثها قطعة منه ، مما يمكنها من جذب التبن إذا قُرب منها . تفرز الصــمغ شجرة تدعى الثوم وأجودها ما نبت فى سواحل بحر البلطيق ، وهو الصمغ نفسه يسيل تلقائياً من جذع الشجرة وأغصانها الكبيرة ، ويكون بلونه أصفر خفيف ، شفاف ، ثم لا يلــبث أن يتغير إلى أصفر محمر ، أو مائل إلى السواد ، وذلك بعد أن يجف . والصمغ الوحيد الذى يمكن صقله وتلميعه ، ويتخذ منه أجمل أنواع الحلى (الرازى ، المنصورى فى الطب ، تعليقات المحقق ، ص 633).

(4) الزعفــران : بالســريانية الكــركم والفارسية كركيماس ، ويسمى بالجساد ، والجاند ، والــرعيل، والدلهقان ، وهو نبات ينبت كثيراً بالمغرب ، زهره كالباذنجان ، فيه شعر يميل إلى البياض ، إذا فرك فاحت رائحته . وهو يدرك فى أكتوبر ، ولا يعدو أصله فى الأرض خمــس ســنين . ومن منافعه أنه يقوى الحواس ويهيج شهوة الباه فيمن أيس منه ولو شما، ويذهب الخفقان فى الشراب ، وأن حشيت به تفاحة وأدمن شمها صاحب الشوصة والبرسام والخناق ، برأ. (تذكرة داود ، 202/1).

(5) الــدرونج: نبات له ورق على الأرض يشبه ورق اللوف ، إلا أنه يميل إلى الصفرة ، يخرج فى وسط الورق قضيب أجوف طوله ذراعان وأكثر ، ومع أن القضيب طويل ، إلا=

دراهـــم ورق الأتــــرج[1] ، درهمـــين بـــذر البـــاذورد[2] ، وورق

= أن ورقـــه قليل ، حوالى خمس ورقات أو اقل متباعدة بعضها من بعض ، والورق الذى علـــى الأرض ، وعلى طرف القضيب زهرته صفراء جوفاء . والمستعمل من هذا النبات أصله ، فينفع من الرياح النافخة ، ومن لسع الهوام المسمومة . قال عنه الرازى : ينفع من أوجـــاع الأرحـــام الـــباردة والخفقـــان مع برد ، وينفع الرياح الغليظة فى المعدة والأمعاء والأرحام ، ويلطفها ويحللها ، وينفع من لسع العقارب شرباً وضمادا بالتين . (ابن البيطار ، الجامع 369/1).

(1) الأُتـــرج : جـــنس شجر من الفصيلة البرتقالية ، وهو ناعم الأغصان واللون والثمر ، ثمـــره كالليمون الكبير ، وهو ذهبى اللون ، زكى الرائحة ، حامض الماء ، ينبت فى البلاد الحارة . يعرف فى الشام باسم (الترنج) و (كباد) ، وفى مصر والعراق (أُترج) كما يسمى (تفاح العجم) و (تفاح ماهى) ، و(ليمون اليهود) (الرازى ، منافع الأغذية ، وتعليق المحقق ص 235). ومـــن خواصـــه : يقـــوى المعـــدة ويزيد فى شهوة الطعام، ويقمع حدة المرة الصـــغراء ويسكن العطش ، ويقطع الإسهال والقيئ . قال عنه ابن سينا : حماض الأُترج مـــن المقـــويات للقلـــب الحار المزاج ، وقشره من المفرحات ، وحراقة قشره طلاء جيد للبرص ، وقشره يطيب النكهة إمساكاً فى الفم . وإذا جعل فى الأطعمة مثل الأبازير ، أعان علـــى الهضم ، ونفس قشره لا ينهضم لصلابته ، وله قوة محللة . وعصارة قشره تنفع من نهـــش الأفاعى (ابن البيطار ، الجامع 14/1-15). ويحتوى الأُترج على زيت طيار لذلك يســـتعمل كطـــارد للرياح ، علاوة على الهضم . وقد ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ قال : "مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأُترجة طعمها طيب وريحها طيب ".

(2) الـــباذاورد : نـــبات ينبت فى الجبال ، له ورق شبيه بورق الخامالاون الأبيض (شوكة الملـــك) غير أنه أدق وأشد بياضا وعليه شئ شبيه بالزغب وهو مشوك ، وله ساق طولها أكثـــر من زراعين فى غلظ أصبع الإبهام ، وأكثر لونها إلى البياض ، وعلى طرفها رأس مستدير مشوك شبيه برأس القنفد البحرى ، له زهر فى لون الفرفرية ، وفيه بذر شبيه بحب القرطم ، إلا أنه اشد استدارة منه . ينفع من استطلاق البطن ، ومن ضعف المعدة ، ويقطع نفث الدم ، ومن وجع الأسنان إذا تمضمض بالماء الذى طبخ فيه .(ابن البيطار ، الجامع 1/ 104).

الفرنجمشك[1] من كل واحد ثلاثة دراهم ، يجمع الجميع بعسل منزوع الرغوة ، ويؤخذ منه كل يوم مثل الجوزة الكبيرة ، إلا اليوم الذى يأخذ المطبوخ قبله بيوم وبعده بيوم .

ويجتنب العدس خاصة ، والسمك ، والبصل ، ولحم البقر ، والنبيذ الممزوج ، ويكثر دخول الحمام[2] .

أُحضر غلام شبه مجنون ، شاخص البصر ، ولا يتكلم ، ولا يجيب داعيه ، ووصف أن طبيعته اعتقلت منذ خمسة أيام . فصار إلى هذا الحال ، وأنه لا يستقر فى موضع واحد ، ويطوف فى الثقل ، وبوله يخرج من غير إرادة فى كل ليلة . فأمر له بالحقن القوية ، ويضع على رأسه خل خمر ، ودهن ورد ، وماء ورد [3].

وخلاصة القول إن الرازى كان سباقاً فى الاهتمام بمعالجة أصحاب الأمراض النفسية، فسجل بذلك للمسمين والعرب أروع الصفحات فى تاريخ الإنسانية، فقد كان اليونان يأمرون أهل المريض الذى يعانى ضعفاً فى قواه العقلية بحبسه فى منزلهم، حتى يمنع ضرره عن المجتمع. وكانت أوربا فى العصور الوسطى تعامل أصحاب هذه العلل أسوأ معاملة يعامل بها إنسان " فكان هؤلاء البشر المعذبون يوضعون فى سجون مظلمة، وقد قيدت أيديهم وأرجلهم، أو يعزلون عن

---

(1) فرنجمشك ، ويقال برنجمشك وأفلنجمشك، وهو الحبق القرنفلى ، عشب دقيق القضبان ، كأن به زغبا ، طيب الرائحة يزرعه بعض الناس فى البساتين . (ابن البيطار ، الجامع 3 /220).

(2) الرازى ، التجارب ، وتحقيق خالد حربى ، ص 107.

(3) المصدر نفسه ، ص 107.

العـــالم وعن أهلهم فى المستشفى السجن " أو " البيت العجيب " أو " برج المجانين " أو " القفص العجيب " كما كانوا يسمونها آنذاك، ويسلم أمرهم إلى رجال أفظاظ لا يعرفون إلا لغة الضرب والشتم والتعذيب وذلك أمد الحياة !!" [1].

وكان مبعث ذلك لدى الأوربيين آنذاك هو الاعتقاد السائد بأن هذا المـــريض قـــد لعنـــته الســـماء عقاباً له على اثم ارتكبه، فأنزلت به هذا المرض. أو أن شيطاناً ماكراً ضاقت به الدنيا فحل فى جسم هذا المريض !. وعلـــى ذلـــك فإنه يحل تعذيب ذلك الجسد لأنه بمثابة منزل لشيطان رجـــيم !. وقد ظلت أوربا على هذا الحال إلى قبيل القرن التاسع عشر، عـــندما قام طبيب فرنسى يدعى بينل " Pinel " بمطالبة مجلس الإديرة بتحرير المجانين السجناء، وتسليمهم لعناية ورعاية الأطباء[2] .

كـــان هـــذا فـــى الـــوقت الذى خصص فيه العرب والمسلمون البيمارستانات الخاصة بهذا المريض والتى كان يعامل فيها معاملة كريمة تلـــيق به كإنسان. ومن الأمثلة على ذلك البيمار ستان العضدى فى بغداد الـــذى شـــغل الـــرازى منصب ساعوراً له كان به قسماً خاصاً لهؤلاء المرضى، وقد تولى الرازى بنفسه مراقبتهم والإشراف على علاجهم.

تلـــك كانـــت أمثلة عن بعض إسهامات الرازى فى هذا المجال. وهـــناك أطـــباء كثيرين غير الرازى كل أدلى بدلوه فى هذا الميدان مثل

---

(1) زيجريد هونكه، شمس العرب تستطع على الغرب ، ترجمة محمد بيضون ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1986. ص 255.

(2) المرجع نفسه ، ص 256.

جبـــرائيل بـــن بختيشـــوع، وعلى بن رضوان، وأبو القاسم الزهراوى، ورشـــيد الـــدين أبـــو حليقة ، وسكرة الحلبى، والشيخ الرئيس ابن سينا. ويمكن تتبع ذلك فى الصفحات القادمة .

المبحث الثانى

جبرائيل بن بختيشوع



وصـــل إليـــنا عن إسهام جبرائيل بن بختيشوع[1] مثلاً فى ميدان الطـــب النفسى هذه الحالة التى سجلها ابن أبي أصيبعة[2] حيث يذكر أنه كـــان لهـــارون الرشـــيد جارية رفعت يدها فبقيت هكذا لا يمكنها ردها. والأطـــباء يعالجـــونها بالتمريخ والادهان، ولا ينفع ذلك شيئاً، فاستدعى جبـــرائيل بن بختشيوع، فقال له الرشيد : أى شيء تعرف عن الطب ؟ فقـــال : أبـــرد الحار، وأسخن البارد، وأرطب اليابس ، وأيبس الرطب الخـــارج عن الطبع. فضحك الخليفة وقال: هذا غاية ما يحتاج إليه فى صناعة الطب ، ثم شرح له حال الصبية، فقال له جبرائيل: إن لم يسخط علىّ أمير المؤمنين فلها عندى حيلة ، فقال له : وما هى ؟ قال : تخرج الجاريـــة إلى هنا بحضرة الجميع حتى أعمل ما أريده، وتمهل على ولا تعجـــل بالســـخط ، فأمر الرشيد بإحضار الجارية فخرجت. وحين رآها

---

(1) كـــان فاضلاً عالماً متقناً لصناعة الطب ، جيداً فى أعمالها ، حسن الدراية بها . يذكر ابـــنه عبـــيد الله فى كتاب له أن أبيه "جبرائيل" قصد طبيباً من أطباء المقتدر وخواصه كان يعـــرف بترمـــزه ، فلازمـــه وقـــرأ علـــيه ، وقرأ على يوسف الواسطى الطبيب ، ولازم البيمارستان والعلم والدرس ، فنبغ فى حياة أبيه ، وصار طبيباً لجعفر البرمكى ، حتى قدمه إلـــى الخليفة الرشيد فصار طبيبه الخاص ونزل لديه منزلة ممتازة وجعله رئيساً للأطباء . وظـــل علـــى ذلك زمن الأمين والمأمون حتى توفى فى خلافته .. ولجبرائيل من الكتب : كناشـــه الكبير الملقب بالكافى – رسالة فى عصب العين . مقالة فى ألم الدماغ بمشاركة فم المعـــدة والحجـــاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس المسمى ذيا فرغنا – الروضة الطبية، نشرة بول سباط سنة 1927 (راجع ، خالد حربى ، بنية الجماعات العلمية العربية الإسلامية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2004 ، ص 76).

(2) أبن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا ، دار الحياة ، بيروت (د.ت) ص 188.

جبــرائيل عــد إلـــيها ونكس رأسه ومسك زيلها كأنه يريد أن يكشفها، فانـــزعجت الجاريـــة ومن شدة الحياء والانزعاج استرسلت أعضاؤها، وبسطت يدها إلى أسفل ومسكت زيلها. فقال جبرائيل : قد برئت يا أمير المؤمنين ، فقال الرشيد للجارية : أبسطى يدك يمنة ويسرة، ففعلت ذلك، وعجب الرشيد وكل من كان بين يديه.

يُفسر علم النفس الحديث حالة هذه الفتاة على أنها حالة "فصام" " Schizophrenia" مـــن نوع يسمى الفصام التشنجى Catatonia أو الفصام التصلبي Catatonic الذى يتميز سلوك صاحبها بالتيبس النفسي والجسمى حيث يجلس المريض ساعات طويلة جامداً لا يتحرك وإذا رفع يـــده أو ذراعـــه فإنـــه يبقيه لمدة طويلة كما لـــو كـــان منفصلاً عـــن جسمـــه[1] . لـــذا تعتبـــر هـــذه الحالـــة إحدى الاضطرابـــات الحركية[2] ذات الأعـــــراض التكوينـــية والنفسية [3]. وربما تنتج عن الاستثارة المســـتمرة فـــى منطقة غير محددة بالمخ حيث يزداد نشاط "الجاما أمينو بيوتريك أسيد Gamma Amino Butyric Acid GABA [4] .

---

(1) عـــباس محمود عوض، مدخل إلى الأسس النفسية والفسيولوجية للسلوك، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1985 ص 297، ص 298.

(2) Kirk Caldy, Bruee (Ed.) "Motorobnormalities and the psychopathology Schizophrenia " in "Normalities and abrormalities in human movement Medicine and sport Scince, Vol 29,pp 100-127 Barel, switzerland 1989, p 109.

(3) Curran , vitoria , marergo , joarrel : Psychological assessement of catatonic Schizophernia" Gournal of personality assessement 1990 win , vol 55 (3-4) 432-444.

(4) Trimble , Michael R; cumming jefferyl (Ed) "Catatonia" in "contemporary behavioral rewrology " blue Booksoft practical rewrology, vol. 16.pp.289-309 wobum , MA. 1997 p . 348.

والفصام أو الشيزوفرنيا بلغة العلم الحديث هو مرض ذهاني يتسم بمجموعة من الأعراض النفسية والعقلية يمكن أن تؤدى إلى اضطرابات واضحة فى السلوك والشخصية العامة، وذلك إن لم تعالج فى بدايتها. ويتميز الفصامى بسمات معينة تميزه، منها: أنه لا يسلك دائماً سلوكاً متوائماً مع الموقف، ويظهر دائماً فى صورة الشخص الذى يصعب التآلف معه، حيث يتسم سلوكه دائماً بتصيّد أخطاء الآخرين، فضلاً عن عدم تميزه بين الواقع والخيال والهلوسات السمعية والبصرية، والبرود العاطفى، والهذاءات، وإنهيار عمليات التفكير بصفة عامة.

وينقسم الفصام إلى خمسة أنواع ، هى : الفصام البارانويي، وأبرز أعراضه هذاءات العظمة، والفصام التخشبى أو الكاتاتونى، وفيه يتخذ المريض أوضاعاً متخشبة أو ثابتة يظل عليها لفترات طويلة. والفصام الهيبريني ، وأبرز سماته القيام بأعمال مشينة أو تافهة مع إطلاق عبارات خالية تماماً من المعنى. والفصام الوجدانى الذى يتميز بتغيرات واضحة فى الحالة الوجدانية . والفصام البسيط الذى يتميز صاحبه بالبلادة والخمول وعدم الاكتراث بأى شيء .

ويلاحظ أن الطبيب " جبرائيل " قد استخدم ما يعرف حالياً بالعلاج السلوكى Behavior therapy الذى يهتم فى أبسط حالاته بعلاج العرض الملاحظ[1] .

ويعتمد العلاج السلوكي على أبحاث ونظريات بافلوف Pavlov

---

(1) خالد حربى ، علوم حضارة الإسلام ودورها فى الحضارة الإنسانية ، سلسلة كتاب الأمة ، العدد 104 ، قطر 1425 هـ ، ص 132.

أحد رواد المدرسة السلوكية التى تعني بتفسير السلوك الإنساني كاستجابة لمثيـــر خارجـــي دون إعطاء أهمية للعوامل الداخلية للفرد بالإضافة إلى إســـهامات B.F.Skinner ســـكنر فـــى هـــذه النظرية[1] حيث استخدم جبـــرائيل الفعـــل المنعكس Reflex action الذى لا يصدر عن المخ وإنما يصدر عن النخاع الشوكي وبالتالى لا يخضع للتفكير الرمزى.

فالانعكـــاس العصبي أو قوى الانعكاس Reflex Arc واحد من أبســـط الأنشـــطة المعروفة عن النخاع الشوكي ويعني بالتكيف التلقائي للإبقاء على توازن الجسم دون تفكير[2].

فتصـــلب يـــد الفتاة فعل قسرى تعجز عن تغييره بطرق الإقناع العادية ، ولذلك فلابد أن يتم علاجه أيضاً بظروف تعجز الفتاة عن عدم الاســـتجابة لها، أى بفعل لا إرادى، وهذا ما فعله جبرائيل وهى طريقة أقـــرب مـــا يمكن "لطريقة الكف المتبادل حيث أبطلت الاستجابة القديمة بواسطة استجابة جديدة أقوى منها"[3].

(1) Waure weiten , Margaret A.Lbyd , Psychology Applied to modern life" Boston : Brooksl col publishing company 1997 p.48.

(2) ألفـــت محمـــد حقـــى، الأســـس البيولوجية لعلم النفس ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية 2004 ، ص 165.

(3) محمد عبد المؤمن حسين ، الشخصية والأمراض النفسية والعقلية ، مدخل فى الصحة النفسية ، دار المطبوعات الجديدة ، الإسكندرية 1990 ص 318.

المبحث الثالث

ابن سينا

أمـــا ابن سينا[1] فقد عنى بعلم النفس عناية لا نكاد نجد لها مثيلاً لدى واحد من رجال التاريخ القديم والوسيط، فألم بمسائله المختلفة إلماماً واسعاً، واستقصى مشاكله وتعمق فيها تعمقاً كبيراً، وأكثر من التأليف فيه إلـــى درجة ملحوظة[2]. حتى أنه ذكر مصطلح "علم النفس " نصاً فتراه يخصـــص المقالة الأولى من كتابه "الشفاء" لهذا الميدان ، قائلاً[3] من علم الـــنفس خمســـة فصول ، الفصل الأول : فى إثبات النفس وتحديدها من حـــيث هـــى نفس. الفصل الثانى : فى ذكر ما قاله القدماء فى النفس فى

ابـــن سينا : هو أبو على حسين بن عبد الله ، المعروف بالشيخ الرئيس. ولد عام 370 هـــ فـــى قـــرية قرب بخارى. انتهض أبوه إلى تعليمه العلوم، فتعلم الحساب والفقه والخلاف ، فأجـــاد، ثـــم أخـــذ يتعلم المنطق والهندسة والهيئة، فأبدى فى الاشتغال بها والنظر فيها قوة الفطـــرة واســـتعداد ، الأمر الذى دفعه إلى النظر فى العلم الطبيعى والإلهى ، ثم انصرفت رغبته إلى قراءة الطب ، فاستمر يقرأ ما يظفر به من كتبه حتى حصل منه بالرؤية والنظر ، واشـــتغل بالتطبـــيق والعمل واستكشاف طرق المعالجة ، ولم يكن إلا قيل حتى برز فيه وصار أستاذ المشتغلين به. ومع ذلك تعد الفلسفة ميدان ابن سينا الأول. وقد حلت كتبه فيها محـــل كتب أرسطو عند فلاسفة الأجيال اللاحقة . ومن مؤلفاته فيها كتابه "الشفاء" الذى يعد دائـــرة معارف فلسفية ضخمة . وله كتاب "النجاة" وكتاب " الإشارات والتنبهات" وهو من أهـــم كتبه ، إذ هو وسط بين "الشفاء" و "النجاة" ألفه فى آخر حياته ، وكان ضنيناً به على مـــن لـــيس مـــؤهلاً لفهمه ، كما كان يوصى بصونه عن الجاهلين ، ومن تعوزهم الفطنة والاســـتقامة . أمـــا أهـــم مؤلفاته فى الطب فكتاب القانون فى الطب الذى عُنى الأوربيون بدراسته وطبعوه طبعات لا حصر لها.

(2) محمد عثمان نجاتى ، الإدراك الحسي عند ابن سينا، دار المعارف ، القاهرة ، 1961 ، ص 19.

(3) ابن سينا، كتاب الشفاء ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت 1982 ، ص9.

جوهـــرها ونقضـــه . الفصـــل الـــثالث : فى أن النفس داخلة فى مقولة الجوهـــر. الفصل الرابع : فى تبيين أن اختلاف أفاعيل النفس لاختلاف قواها. الفصل الخامس : فى تعديد قوى النفس على سبيل التصنيف.

ويعـــد ابـــن ســـينا[1] أول الفلاسفة القدماء الذين ربطوا وظائف الإحساســـات والخيال والذاكرة بشروطها الفسيولوجية ، كما أن له فضلاً كبيـــراً فى توضيح أوجه الشبه بين إدراك الحيوان وإدراك الإنسان. وإذا كان أرسطو قد سبقه إلى تصور النفس الحيوانية ، لكن لم يسبق أحد ابن ســـينا فى إلقاء الضوء الساطع على علم النفس الإنساني التجريبي . كما أدرك ابـــن ســـينا بوضـــوح تعقيد عملية الإدراك الحسي وتركيبها من عناصر متعددة متداخلة، إذ يبدأ الإدراك باستخدام الحواس، ثم الربط بين الأفكـــار الحســـية المختلفة وكيفية إدراك المعانى التى ليست لها حواس خاصـــة كالشـــكل والحركة ونحوها، ولم يغفل دور الخيال والذاكرة فى تكوين الإدراك الحسي .

ويتضـــح ذلـــك من تصنيف ابن سينا للقوى النفسانية المدركة ، وكيف أن أنواع القوى إنما تندرج تحت تلك القوى النفسانية .

فالقوة النفسانية تشتمل على قوتين هى كالجنس لهما احداهما قوة مدركة والأخرى قوة محركة .

والقـــوة المدركة كالجنس لقوتين : قوة مدركة فى الظاهر ، وقوة مدركـــة فـــى الـــباطن . والقوة المدركة فى الظاهر هى الحسية ، وهى

---

(1) راجـــع ، محمود فهمى زيدان ، نظرية المعرفة عند مفكرى الإسلام، وفلاسفة الغرب المعاصرين ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط الأولى 1989، ص 204.

كالجنس لقوى خمس : الإبصار ، والسمع ، والشم ، والذوق ، واللمس . والقوة المدركة فى الباطن –الحيوانية– هى كالجنس لقوى خمس احداهما القوة التى تسمى الحس المشترك والخيال والوهم[1].

أما الحس المشترك ، فهو القوة التى تتأدى إليها المحسوسات كلها ، فـيجمعها ويقارنها بعضها ببعض . والحس المشترك قابل للصورة لا حـافظ لهـا ، فلا تثبت الصور فيه زماناً طويلاً بعد غياب المحسوس ، ولكـن هذه الصور تنتقل إلى خزانة الخيال أو المصورة ، فتصبح سبباً لأفعـال الحـواس الباطنة. وأما الخيال أو القوة المصورة ، فهى تحفظ صـورة المحسوسات بعد تجريدها عن المادة بدرجة تفوق تجريد الحس المشـترك لها ، لكنها لا تجرد الصورة تماماً من لواحق المادة ، ذلك أن الصـورة التـى فى الخيال والتى يمكن استحضارها فى غيبة المحسوس تكـون علـى تقدير ما وتكييف ما ، ووضع ما . أما الوهم ، فهى قدرة تـدرك المعانى التى تخرج عن نطاق الحس المشترك والمتخيلة ، لأنها ليسـت بـذاتها مادية ، وإن عرض لها أن تكون فى مادة كإدراك الشاة عـداوة الذئب[2] والولد حبيب على سبيل غير نطقى . والعداوة والمحبة غيـر محسوسـين لا يـدركهما الحس ، وإنما يحكم بهما وتدركهما قوة أخـرى[3] ، وهـى القـوة الوهمية . التى "يقف بها الوهم على المعانى

---

(1) ابـن سـينا ، القانـون فى الطب ، طبعة مؤسسة الحلبى ، عن طبعة بولاق ، القاهرة ،بدون تاريخ ، الجزء الأول ، ص 71.

(2) راجع ، محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 2000.

(3) ابن سينا ، القانون حـ1، ص 72.

المخالطة للمحسوسات فيما يضر ، وينفع ، فيكون الذئب تحذره كل شاة وإن لم تره قط ولا أصابتها منه نكبة ، وتحذر الأسد حيوانات كثيرة، وجوار الطير تحذرها سائر الطير .. فإذا لاح للمتخيلة تلك الصورة من خارج ، تحركت فى المصورة ، وتحركت معها ما قارنها من المعانى النافعة أو الضارة "[1].

ويستعمل الإنسان هذه القوة فى كثير من الأحكام ، تلك القوة المفارقة للخيال ، فالخيال يستثبت المحسوسات ، وهذه تحكم فى المحسوسات بمعان غير محسوسة. وتفارق القوى التى تسمى مفكرة ومتخيلة بأن أفعال تلك لا يتبعها حكم ما ، وأفعال هذه يتبعها حكم ما ، وأفعال تلك تركبت فى المحسوسات عن المحسوس [2].

من ذلك كله نستطيع أن نقف على معنى "الإدراك" Perception عند ابن سينا ، وكيف أنه استطاع أن يميز فيه بين ثلاثة أنواع ، إدراك حسى بالحواس الظاهرة (السمع – البصر– اللمس– التذوق– الشم)، وإدراك باطنى ، يدرك من الأمور المحسوسة ما لا يدركه الحس ، كالمحبة ، وكالقوة التى تحكم فى الشاة بأن الذئب عدو لها.

وإدراك عقلى يتم بقوة الذهن (العقل النظرى) الذى ينتزع الكليات أو المعقولات من الجزئيات على سبيل تجريد لمعانيها عن المادة وعلائقها ، فتحدث للنفس من ذلك مبادئ التصور[3].

---

(1) ابن سينا ، الشفاء ، ص 179 .

(2) ابن سينا ، القانون حـ1 ، ص 72.

(3) ابن سينا ، الشفاء ، ص 218.

نخلص من ذلك إلى أن دراسة ابن سينا للإدراك تُعد من الإسهامات الأصيلة فى علم النفس ، يتضح ذلك بصورة جليّة بالوقوف على تعريف الإدراك فى علم النفس الحديث حيث يقول :

الإدراك Perception هو العملية التى نقوم عن طريقها بتنظيم أنماط المنبهات وتفسيرها وإكسابها معنى .

ويستخدم مصطلح الإدراك فى علم النفس ليشير إلى المعرفة المباشرة للعالم ولأجسامنا ، وذلك نتيجة لإشارات عصبية تأتينا من أعضاء الحس : العينان والأذنان والأنف واللسان والجلد. وهذا هو الإدراك الحسى . وهناك الإدراك خارج نطاق الحواس Extrasensory perception ، وهو نوع من الخبرة التى تتكون من إدراك لم يأت عن طريق تنبيه أعضاء الحس[1].

ولعل أبرز ما يميز علم النفس السينوى ويجعله سابقاً لعصره بشكل عجيب من جهة ، كما يجعله من جهة أخرى يبدو عصرياً إلى حد مذهل، معالجته لمفهوم الوعى بالذات أو "الشعور بالذات" كما يسميه هو . فلم يسبقه أحد إلى هذا المفهوم.[2].

ويتلاءم مذهب ابن سينا[3] مع النظرية السيكولوجية الحديثة الخاصة بالشعور وأقسامه، والتى يقبلها جمهرة المحدثين، حيث تجعل من

---

(1) أحمد محمد عبد الخالق : أسس علم النفس ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 2005 ، ص 160 .

(2) زينب الخضيرى ، ابن سينا وتلاميذه اللاتين ، دار قباء ، القاهرة 1988، ص 138.

(3) راجع ، أحمد فؤاد الاهوانى ، الشعور ، ضمن بحوث المهرجان الألفى لذكرى ابن سينا بغداد 1952، ص 223.

الشعور قوة عاملة توحد الذات، وتجمع أطراف الشخصية ، فيحس المرء أنه هو فى الماضى والحاضر والمستقبل. فيذهب ابن سينا إلى أن الشعور بالـــذات يصدر عن النفس بأسرها كوحدة مختلفة عن البدن متميزة عنه. وواضـــح أن هـــذا الشـــعور بالـــذات يختلف تماماً عن أى إدراك آخر، فـــالإدراك العـــادى قد يحدث وقد لا يحدث، أما الشعور بالذات فموجود دائماً إلا أن صاحبه قد يكون واعياً به، وقد لا يكون " حتى أن النائم فى نـــومه والسكران فى سكره، لا تعزب ذاته عن ذاته، وإن لم يثبت تمثله لذاته فى فكره" كما يقول ابن سينا.

وإذا كانـــت براهين القدماء على لا مادية النفس ومباينتها للجسم منطقـــية ، فـــإن ابن سينا كان أول من لجأ إلى التجربة النفسية ، فقال : لنتصـــور إنساناً خلق محجوب البصر لا يرى من إبهامه شيئاً ، متباعد الأطـــراف لا يلمـــس جـــزء من جسمه جزءاً آخر ، يهوى فى خلاء لا يصـــدمه فيه قوام الهواء حتى لا يحس ولا يسمع ، أليس يغفل مثل هذا الإنســـان عـــن جملة بدنه ؟ أليس يشعر بشئ واحد فقط هو ثبوت إنيته (نفسه) ؟ فالنفس إذن موجودة وجوداً غير بدنى[1] .

كـــل هـــذه الآراء وغيرها التى انتهى إليها ابن سينا من دراسته للـــنفس ، دوّنهـــا فـــى رسالة من ستة عشر باباً ، تعد من أقيم الكتابات العربية فى مجال النفس ، وهى "رسالة فى النفس وبقائها ومعادنها".

ابتدأها الشيخ الرئيس بتعريف النفس ، ثم تقسيم الأجسام الطبيعية

---

(1) محمـــد ثابت الفندى ، الشيخ الرئيس ابن سينا ، سلسلة الأعمال الكاملة بإشراف ماهر عبد القادر محمد ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 2002 ، ص 113 – 114.

من جهة القوى الفعالة فيها إلى قسمين : قوى تعمل فى الأجسام بالتسخير ، وأخـــرى تعمل بالقصد والاختيار . وذكر أن الطبيعة اسم للقوة الفاعلة علـــى ســـبيل التسخير ، وكذلك النفس النباتية ، والنفس الحيوانية ، أما النفس الإنسانية ، فهى اسم للقوة الفاعلة على سبيل القصد والاختيار[1].

وفـــى هـــذه الرسالة شرح ابن سينا صلة النفس بالبدن ، والقوى النفسانية ، وفاعليات القوة المدركة من النفس . ولما كان هدف ابن سينا من هذه الرسالة هو دراسة النفس الإنسانية ، لذا نراه يهتم بالقوى الباطنة ، وقـــدرات التخيل ، وأقسام النفس الإنسانية العاملة والناطقة ، ووظائف العقـــل العملى الذى يسوس البدن ، والعقل النظرى الذى يراه قوة مطلقة موجودة عند كل شخص طفلاً كان ، أم بالغاً[2] .

ويعترف عالم النفس الأمريكي هليجارد صراحة بأن ابن سينا قد تعـــرف علـــى مـــا يعرف اليوم باسم الأمراض الوظيفية Function Illnesses والتـــى تقـــال فـــى مقابـــل الأمراض العضوية organic Illnesses والأمـــراض الوظيفية هى أمراض نفسية الأسباب ونفسية النشأة psychogenesis ، وهى الأمراض التى لا ترجع إلى خلل أو أســـباب عضوية فى جسد الإنسان أو جهازه العصبي أو الغدى ، بمعنى أن المـــرض المنـــتج عن وجود تغيرات فى الدماغ أو الجهاز العصبي المركزى يرتبط بهذا المرض قبل الإصابة. ولكن هذه الأمراض الوظيفية

---

(1) ابـــن ســـينا ، رسالة فى النفس وبقائها ومعادنها ، تحقيق أحمد فؤاد الأهوانى ، طبعة مطبعة الحلبى ، القاهرة 1372 هـــ / 1952 م.

(2) ابن سينا ، رسالة فى النفس وبقائها ومعادنها ، فى مواضع مختلفة .

تصـــيب وظيفة العضو وليس العضو ذاته كالتفكير بالنسبة للدماغ. ومن هــذه الأســـباب الوظيفية أو النفسية الأزمات والكوارث وخبرات الفشل والإحـــباط والحـــرمان والقســـوة والخضوع لحالات من الضغط النفسي والاجتماعـــى والتعـــرض للخبـــرات والصدمات النفسية . وتشمل هذه الأمراض الوظيفية كلاً من الأمراض العقلية، والنفسية العقلية كالاكتئاب والفصـــام والهـــوس وجنون العظمة والاضطهاد. أما الأسباب العضوية للأمـــراض العقلية ، فمنها إدمان الخمور أو المخدرات ، ومن الإصابات مـــرض الزهرى Syphilis والأورام والإصابات الناجمة عن الإصابة بالأعيرة أو الطلقات النارية .. ومن المدهش أو يعترف عالم أمريكي من علمـــاء الـــنفس المعاصـــرين بفضل علماء الإسلام فيذكر أن الأمراض الوظيفية هذه اكتشفها وأدركها وعرفها العلماء العرب، بل وعالجوها منذ أكثر من 900 عاماً مضت ، وخاصة الطبيب العربي الشيخ الرئيس ابن سينا[1].

وينصـــح ابـــن سينا بالتزاوج بين العقاقير والوسائل النفسية فى معالجـــة الأمـــراض النفســـية ، إذ يقول "يجب مراعاة أحوال النفس من الغضب والغم والفرح واللذة وغير ذلك ، فإن الأغذية الحارة مع الغضب مضـــرة ، وكذلك الباردة مع الخوف الشديد، أو اللذة المفرطة مضرة"[2]،

---

(1) عـــبد الرحمن محمد العيسوى ، الطب العقلى فى الفكر السينوى ، دراسة مقارنة مع الفكـــر السيكولوجى الحديث ، أعمال مؤتمر الطب والصيدلة عند العرب، آداب الإسكندرية 1998، ص 222-223.

(2) ابـــن سينا، كتاب تدارك الأخطاء، مخطوط مكتبة جامعة الإسكندرية ، رقم 59، ورقة 4 ظهر .

هــذا الــنص يشــير إلى أن ابن سينا أدرك – متأثراً بالرازى فى قوله: فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس– أن صحة البدن تابعة لاعتدال المزاج.

ومن الجدير بالاعتبار أن واحداً من أكبر علماء النفس الأمريكيين المعاصرين، هو جيمس كولمان James C.coleman يضمّن كتابه " Abnormal Psychology and modern life" حالــة مرضــية نفســية عالجها ابن سينا بطريقة مبتكرة أفادت علم النفس الحديث . يقول كولمان[1]: أصيب أحد الأمراء بالمالنخوليا، وظهرت من أعراضها عليه أن تخيل نفسه "بقرة" يجب أن تذبح ويتغذى الناس من لحمها اللذيذ. وكان هذا المريض يخرج صوت كصوت البقرة (الخوار)، ويصيح : اذبحونى .. اذبحونــى ، ولــذا امتــنع عن الطعام ، الأمر الذى أدى إلى ضعفه وهزاله. ولما تم إقناع ابن سينا بعلاج هذا الأمير، بدأ علاجه بأن أرسل إلــيه رســالة يبلغه فيها بأنه ينبغي أن يكون فى حالة نفسية جيدة، حيث ســيقدم الجزار قريباً لذبحه، ففرح المريض بهذه الرسالة ، وهيأ نفسه – نفسياً– للذبح. وبعد فترة دخل عليه ابن سينا غرفته شاهراً سكيناً كبيراً، وقــال : "أيــن هذه البقرة التى سوف أذبحها " فأجابه المريض بإصدار خــوار البقرة كى يعرفه ، فأمر ابن سينا بأن يطرح أرضاً ، وتقيد أيديه وأرجله ، وبعد إتمام هذا الأمر ، تحسس ابن سينا كل جسمه، ثم قال : إنها بقرة نحيفة جداً لا تصلح للذبح الآن ، يجب أن تتغذى وتسمن أولاً، ثــم أمــرهم بإطعام المريض بأطعمة جيدة ومناسبة ، فاكتسب المريض حيوية وقوة، الأمر الذى جعله يتحرر مما اعتراه من أعراض وهذاءات،

---

(1) Coleman , James ; Abnormal Psychology and Modern life , Scott Chicago , 1956, p.27.

وتم له الشفاء التام .

تكشف معالجة هذه الحالة وتشخيصها عن كثير من الحقائق الطبية التى سبق فيها ابن سينا أطباء الغرب، منها[1] : إنه استخدم التفكير العلمى الموضوعى ، ولم يكن هناك مجال للسحر أو الشعوذة أو الخرافة أو القول بتلبس الأرواح والشياطين لجسد المريض. كما أن معالجته اتسمت بالطابع الإنساني والعلمى ، ولم يخضع المريض لكثير من وجوه التعذيب والقسوة والسحل والكى بالنار، والتى كانت سائدة فى الغرب آنذاك . وعلى ذلك فإن أسلوب ابن سينا فى العلاج لم يكن الأسلوب الشائع فى وقته، وإنما كان أسلوباً فريداً مبتكراً يتفق مع ظروف كل حالة مرضية، والحالة التى عالجها هى المالنخوليا Melancholia بأعراضها المعروفة . كما أدرك ابن سينا المقصود بمصطلح الهذاء أو الضلالة Delusion وتعرف على مضمون هذا المصطلح وما يقابله من أعراض من حيث اكتشافه أن مريضه كان يعتقد اعتقاداً خاطئاً بأنه بقرة، وأنه كان يصدر خوار البقرة لإقناع الناس بأنه بالفعل بقرة. والهذاءات أو الضلالات أحد الأعراض المميزة للذهان العقلى Psychosis أو المرض العقلى المرادف للجنون. وقد أشار ابن سينا إلى حالة فقدان الشهية التى غالباً ما تصاحب حالات مرض الاكتئاب الذى ينبغي أى يعالج بالتدرج، وهو ما فعله ابن سينا، حيث أرسل رسالة إلى المريض يخبره فيها بأن الجزار سوف يأتى كى يذبحه كما يرغب، وكى يقدم من لحمه وجبة شهية. وتعد هذه الخطوة ضرورية لتمهيد ذهن

(1) راجع، عبد الرحمن محمد العيسوي ، مرجع سابق، ص 228-231 بتصرف.

المـــريض لخطـــوات المعالجـــة، وكى يتوقع ما يحدث له بعد ذلك من تأثيرات . وبعد فترة من هذه الرسالة أقدم ابن سينا حاملاً سكينه فى يديه، ودخل على المريض غرفته ، ويمثل هذا الدخول رعشة أو رجفة خوف فى ذهن المريض تشبه حالياً الصدمات الكهربائية التى تعالج بها حالات الـــذهان العقلـــى أو ما يعرف بالعلاج بالصدمات Shock therapy. وبذلك يكون ابن سينا أسبق فى استخدام هذا المنهج أو على الأقل أفاد به فى العلاج النفسي الحديث .



المبحث الرابع
أوحد الزمان



من نوادر الطبيب أوحد الزمان [1] : أن مريضاً ببغداد كان يعتقد أن علـــى رأسه دنا، وانه لا يفارقه أبداً. فكان كلما مشى يتحايد المواضع التى سقوفها قصيرة ويمشى برفق ولا يترك أحداً يدنو منه، حتى لا يميل الـــدن أو يقـــع عن رأسه. وبقى بهذا المرض وهو فى شدة منه. وعالجه

---

(1) هـــو: أوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن على ملكا، البلدى لأن مولده ببلد، ثم أقام ببغداد، كان يهودياً وأسلم، وكان فى خدمة المستنجد بالله، وتصانيفه فى نهاية الجودة. وكان لـــه اهتمام بالغ فى العلوم وفطرة فائقة فيها. وكان مبدأ تعلمه صناعة الطب أن أبا الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين كان من المشايخ المتميزين فى صناعة الطب، وكان له تلاميذ عدة يتناوبونه فى كل يوم للقراءة عليه، وكان أوحد الزمان يشتهى أن يجتمع به، وأن يتعلم مـــنه، وثقل عليه بكل طريق، فلم يقدر على ذلك. فكان يتخادم للبواب الذى له، ويجلس فى دهليـــز الشيخ بحيث يسمع جميع ما يقرأ عليه، وما يجرى معه من البحث، وهو كلما سمع شـــيئاً تفهمه وتعقله عنده. فلما كان بعد مدة سنة أو نحوها، جرت مسألة عند الشيخ وبحثوا فيها فلم يجتمع لهم عنها جواب وبقوا متطلعين إلى حلها. فلما تحقق ذلك منهم أوحد الزمان، دخل وخدم الشيخ، وقال: يا سيدنا عن أمر مولانا أتكلم فى هذه المسألة ؟ فقال : قل إن كان عـــندك فـــيها شىء. فأجاب عنها بشىء من كلام جالينوس، وقال: يا سيدنا، هذا جرى فى اليوم الفلانى من الشهر الفلانى، فى ميعاد فلان، وعلق بخاطرى من ذلك اليوم. فبقى الشيخ متعجباً من ذكائه وحرصه، واستخبره عن الموضع الذى كان يجلس فيه، فأعلمه به. فقال : من يكون بهذه المثابة ما نستمل أن نمنعه من العلم ، وقربه من ذلك الوقت، وصار من أجل تلاميذه، حتى أشتهر، وصار (أوحد زمانه) فى صناعة الطب. ولأوحد الزمان من الكتب: كـــتاب المعتبر، وهو من أجل كتبه، وأشهرها فى الحكمة. مقالة فى سبب ظهور الكواكب لـــيلاً واخـــتفائها نهـــاراً، ألفها للسلطان المعظم غياث الدين أبى شجاع محمد بن ملك شاة. اختصار التشريح، اختصره من كلام جالنيوس، ولخصه باوجزه عبارة. كتاب الأقراباذين، ثـــلاث مقالات. مقالة فى الدواء الذى ألفه المسمى برشعثا استقصى فيه صفته وشح أدويته. مقالة فى معجون آخر ألفه وسماه أمين الأرواح. رسالة فى العقل وماهيته (راجع، ابن ابى اصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص 374-376بتصرف).

جماعة من الأطباء ولم يحصل بمعالجتهم تأثير ينتفع به. وأنهى أمره إلى أوحـــد الزمان ففكر أنه ما بقى شيء يمكن أن يبرأ إلا بالأمور الوهمية، فقـــال لأهلـــه : إذا كـــنت فى الدار فأتونى به. ثم أمر أوحد الزمان أحد غلمانه بأن ذلك المريض إذا دخل إليه وشرع فى الكلام معه وأشار إلى الغـــلام بعلامـــة بينهما، أن يسرع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المـــريض علـــى بعـــد مـــنه كأنه يريد الدن الذى يزعم أنه على رأسه، وأوصى غلاماً آخر، وكان قد أعد معه دنا فى أعلى السطح، أنه إذا رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأس صاحب المالنخوليا أن يرمى الدن الذى عـــنده بســـرعة إلـــى الأرض. ولمـــا كان أوحد الزمان فى داره، واتاه المريض شرع فى الكلام معه وحادثه، وانكر عليه حمله للدن، وأشار إلى الغـــلام الذى عنده من غير علم المريض فأقبل إليه، وقال والله لا بد لي أن أكســـر الدن وأريحك منه. ثم أدار تلك الخشبة التى معه وضرب بها فـــوق رأســـه بنحو ذراع، وعند ذلك رمى الغلام الآخر الدن من أعلى السطح، فكانت له جلبة عظيمة، وتكسر قطعاً كثيرة، فلما عاين المريض مـــا فعـــل به، ورأى الدن المنكسر، تأوه لكسرهم إياه، ولم يشك أن الذى كان على رأسه بزعمه، وأثر فيه الوهم أثراً برأ من علته تلك.

وفـــى علم النفس الحديث تُفسر حالة مريض بغداد على أنها حالة أعـــراض هلاوس " Halluacination "[1] وهى من الأعراض الشائعة لـــدى الذهانيـــين، الـــنادرة بـــين العصابين. وتعرف الهلاوس على أنها

---

(1) يلاحظ هنا تأثر المصطلح الإنجليزى للهلاوس بالتسمية العربية ومن هذا القبيل أيضاً: Hysteria هيستريا. Hysteric هيسترى. Malancholia مالنخوليا..

مدركات حسية خاطئة ذات طابع قشرى لا تنشأ عن موضوعات واقعية فى العالم الخارجى بل عن وضوح الخيالات والصور الذهنية ونصوعها نصوعاً شديداً بحيث يستجيب لها المريض كوقائع بالفعل. وقد تكون هذه الهـــلاوس بصرية سمعية أو ذوقية أو حتى شمية[1] وهى فى حالتنا هذه هلاوس بصرية.

وقـــد اســـتخدم " أوحد الزمان " فى علاجه لهذه الحالة ما يعرف بالعلاج بالإيحاء وهى طريقة لعلاج أعراض المرض تساعد على تحرير المريض من اعتقاده الفاسد[2].

(1) سامية الأنصارى الصحة النفسية وعلم النفس الاجتماعى، الاسكندرية 1994، ص128

(2) أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، دار المعارف ، الإسكندرية 1994 ص 619.



المبحث الخامس

سكرة الحلبى



اشـــتهر أيضـــاً مـــن أطباء العرب فى الطب النفسى ومعالجته، الطبـــيب سكرة الحلبى، نسبة إلى مدينة حلب بسوريا، كانت له دربة فى العلاج، وتصرف فى المداواة. ومن أمثلة معالجاته النفسية ما يلى[1] :-

كـــان للملـــك العادل نور الدين محمود بن زنكى حظية فى قلعة حلب، يميل إليها كثيراً، ومرضت مرضاً صعبا. وتوجه الملك العادل إلى دمشـــق وبقى قلبه عندها، وكل وقت يسأل عنها فتطاول مرضها، وكان يعالجهـــا جماعة من أفاضل الأطباء، وأحضر إليها الحكيم سكرة فوجدها قلـــيلة الأكل متغيرة المزاج، لم يزل جانبها إلى الأرض، فتردد إليها مع الجماعـــة، ثم استأذن الخادم فى الحضور إليها وحده فأذنت له، فقال لها: يـــا ستي أنا أعالجك بعلاج تبرئى به فى أسرع وقت إن شاء الله تعالى، ومـــا تحتاجـــى معه إلى شيء آخر، فقالت أفعل. فقال : أشتهى أن مهما أســـألك عنه تخبرنى به ولا تخفيني. فقالت: نعم. وأخذ منها إذناً فقال : تعرّفينـــي مـــا جنســـك ؟ فقالـــت : علانـــية (قبيلة فارسية كانت تدين بالنصرانية)، فقال : العلان فى بلادهم نصارى، فعرّفيني إيش كان أكثر أكلك فى بلدك؟ فقالت : لحم البقر. فقال : يا ستى ، وما كنت تشربي من النبـــيذ الذى عندهم ، فقالت : كذا كان . فقال : أبشرى بالعافية . وراح إلـــى بيته واشترى عجلاً وذبحه وطبخ منه، وأحضر معه فى زبدية منه قطع لحم مسلوق، وقد جعلها فى لبن وثوم، وفوقها رغيف خبز فأحضره بين يديها وقال : كلى ، فمالت نفسها إليه، وصارت تجعل اللحم فى اللبن

[1] راجع ابن ابى أصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص 637- 638 بتصرف.

والــثوم وتأكل حتى شبعت. ثم بعد ذلك أخرج من كمه برنية صغيرة ، وقال : ياستى هذا شراب ينفعك فتناوليه فشربته، وطلبت النوم، وغطيت بفــرجية فرو سنجاب، فعرقت عرقاً كثيراً وأصبحت فى عافية . وصار يحضــر لهــا من ذلك الغذاء والشراب يومين آخرين ، فتكاملت عافيتها فانعمت عليه، واعطته صينية مملوءة حلياً. فقال : أريد مع هذا أن تكتبي كــتاباً إلى السلطان وتعرفيه ما كنت فيه من المرض وأنك تعافيت على يــدي، فــوعدته بذلك وكتبت إلى السلطان تشكر منه، وتقول له فيه أنها كانــت قد أشرفت على الموت وأن فلاناً عالجنى وما وجدت العافية إلا على يديه، وجميع الأطباء الذين كانوا عندى ما عرفوا مرضى. وطلبت مــنه أن يحســن إليه . فلما قرأ الكتاب استدعاه واحترمه، وقال له : هم شاكرون من مداواتك . فقال : يا مولانا كانت من الهالكين، وإنما الله عز وجل، جعل عافيتها على يدي لبقية أجل كان لها. فاستحسن قوله، وأغدق عليه العطايا.

فــى ضوء علم النفس الحديث نجد أن "سكرة الحلبى" فى علاجه لمحظــية "نور الدين محمود" قد استخدم نظرية الذات التى قال بها كارل روجرز C.Rogers وتسمى أيضاً بنظرية العلاج المعقود على المريض حــيث أجــرى مقابلــته مــع المريضة فى جو طليق سمح ولم يقدم لها تشخيصاً أو حلاً للمشكلة وإنما أدلى لها بنصيحة وأصغى إلى إجابتها عن أســئلته. وهــذه الطــريقة تخــتلف عن التحليل النفسي فى أنه ليس من الضــرورى أن يفهــم المريض أصل مشكلته فى الطفولة فكل ما يفعله

المعالج إطلاق الحرية للمريض وتهيئة الجو للتعبير عن متاعبه[1]. وهذه الطــريقة لا تحتاج لعدد كبير من الجلسات وتستخدم فى الحالات التى لا تحــتاج إلى بحث عميق فى الماضى والتى لا ترتبط بطفولة المريض أو حياته البعيدة [2] وتجدر الإشارة إلى أن تغيير النمط الغذائي قد لعب دوراً فــى تحسين حالة الفتاة حيث تعافت بعد رجوعها إلى النمط الغذائي الذى تعودت عليه فى بيئتها الأولى، ومن المعروف أن هناك علاقة وطيدة بين "الــذوق والسرور حيث إن الفرد قد يتعرض عند تغيير غذاءه لما يعرف بمقــت الطعــام Taste - Aversion وربما يستتبع ذلك فقدان الشهية وعدم السرور"[3].

---

(1) أحمد عزت راجع، أصول علم النفس ، ص 610.

(2) إبراهيم وجيه محمود، صحة النفس، دار المعارف، الإسكندرية، (د.ت) ، ص 119.

(3) ماركولسى، فهم منطقى لحس الذوق، مجلة العلوم الأمريكية ، المجلد 17، العددان 6-7، يونيو ، يوليو 2001، ص 16.



المبحث السادس
رشيد الدين أبو حليقة

أمـــا الطبـــيب رشـــيد الدين أبو حليقة[1] فمن نوادره في العلاج النفساني[2]: أنه جاءت إليه امرأة من الريف، ومعها ولدها، وهو شاب قد غلب عليه النحول والمرض ، فشكت إليه حال ولدها، وأنها قد أعيت فيه مـــن المـــداواة ، وهـــو لا يزداد إلا سقماً ونحولاً. وكانت قد جاءت إليه بالغـــداة قبل ركوبه، وكان الوقت بارداً. فنظر إليه واستقرأ حاله، وجس نبضـــه. فبينما هو يجس نبضه قال لغلامه : ادخل ناولني الفرجية حتى أجعلهـــا علـــي، فتغيـــر نبض ذلك الشاب عند قوله تغيراً كثيراً واختلف

(1) هو الحكيم الأجل العالم رشيد الدين أبو الوحش بن الفارس أبي الخير بن أبي سليمان داود بـــن أبي المنى بن أبي فانة، ويعرف بأبي حليقة . كان أوحد زمانه في صناعة الطب والعلـــوم الحكمـــية ، متفننـــاً في العلوم والآداب، حسن المعالجة ، لطيف المداواة، رؤوفاً بالمرض، محباً لفعل الخير، كثير العبادة . وقد اجتمع به ابن أبي أصيبعة ورأى من حسن معالجـــته، وعشـــرته، وكمال مروءته ما يفوق الوصف . واشتغل بصناعة الطب في أول أمـــره على عمه مهذب الدين ابى سعيد بدمشق، واشتغل بعد ذلك بالديار المصرية ، وقرأ على مهذب الدين عبد الرحيم الدخوار (أستاذ ابن أبي أصيبعة) ، وبعد أن أتم دراسة الطب بدمشـــق ، خـــدم بها الملك الكامل، وكان كثير الاحترام له، حظياً عنده، وله منه الإحسان الكثير ، والإنعام المتصل، ثم خدم بعده ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم ولده الملك طـــوران شاه إلى أن قتل، فلما جاءت دولة الترك واستولوا على البلاد، صار في خدمتهم وأجروه على ما كان باسمه. وخدم منهم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس. ولرشيد الدين بن أبـــي حليقة نوادر في أعمال صناعة الطب وحكايات كثيرة تميز بها على غيره من جماعة الأطـــباء. ولـــه من الكتب : مقالة في حفظ الصحة. كتاب في الأدوية المفردة . كتاب في الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداواتها بالأدوية المفردة والمركبة التي قد أظهرت التجربة نجاحهـــا . مقالـــة في ضرورة الموت (راجع، ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 590-597 بتصرف).

(2) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص 595.

وزنه، وتغير لونه أيضاً ، فحدّس أن يكون عاشقاً. ثم جس نبضه بعد ذلك فتساكن. وعندما خرج الغلام إليه وقال له : هذه الفرجية، جسّ نبضه فوجده أيضاً قد تغير، فقال لوالدته ابنك هذا عاشق والتى يهواها أسمها فرجية، فقالت: أى والله يا مولاى هو يحب واحدة أسمها فرجية ، وقد عجزت مما أعذله فيها، وتعجبت من قوله لها غاية التعجب ومن اطلاعه على اسم المرأة من غير معرفة متقدمة له بذلك.

ومع أن ابن أبى أصيبعة فى تعليقه على هذه الحالة يذكر أن مثلها قد عرضت لجالينوس لما عرف المرأة العاشقة ، إلا أن أبا حليقة ، هو أول من عالج مثل هذه الحالات من الأطباء العرب، وعنه انتقلت طريقة المعالجة إلى الأجيال اللاحقة ، حتى وصلت إلى علم النفس الحديث الذي يفسرها بما يلى :

يُعد تشخيص أبي حليقة لهذه الحالة ، تشخيص ممتاز ، لما اعترى المريض من اضطراب فى النبض عند سماع اسم المعشوق، حيث ينتابه حالة تهيج انفعالى مصحوبة بعمليات عصبية وفسيولوجية حيث تصل إلى أحد المراكز داخل لحاء المخ يسمى Hypothialmus تنبعث منه رسائل عصبية إلى العضلات المختصة. كما تؤثر المثيرات العصبية فى المراكز العليا فى المخ ، وتؤثر فى العمليات الفسيولوجية المتصلة بالانفعال . كما تهبط هذه المثيرات إلى الجهاز العصبي المستقل أو الذاتى وهو الجهاز الذى يتحكم فى التغيرات الفسيولوجية فى الأفعال ومن هذه التغيرات زيادة ضغط الدم ، زيادة سرعة النبض، اتساع الممرات الهوائية الموصلة للرئتين، اتساع حدقة العين، إفراز العرق، ويزداد سكر الدم، ويزيد إفراز هرمون الأدرينالين، ويقف شعر الرأس

ويعـــاق الهضم وتزداد ضربات القلب[1]. وعلى ذلك فإن انفعال العاطفة لدى العاشقين يؤدى إلى زيادة ضربات القلب التى كانت مفتاح التشخيص فى حالة أبى حليقة .

ولقـــد أدرك الطب العربى الإسلامى آثار الحالة النفسية للإنسان، فـــى وظائـــف أجهـــزة الجسم المختلفة[2]، فالحالة النفسية فى الانقباض والفرح والغم والهم والخجل، تؤثر تأثيراً مباشراً فى سلوك الإنسان، وقد تـــؤدي إلى الجنون وفقدان العقل، والأمراض النفسية الشديدة التى يحتاج علاجها إلى بحث دقيق وعميق، وهذا ما فعله الأطباء العرب والمسلمون وطـــبقوه بالفعل فى أقسام الأمراض العقلية فى البيمارستانات حيث فطن العرب والمسلمون إلى ضرورة تخصيص أماكن خاصة لمعالجة أصحاب الأمـــراض العقلية، فكان يخصص لها قسم فى كل بيمارستان، يتلقى فيه المريض عناية خاصة من أطباء حاذقين ومهرة فى فنون العلاج النفسي.

ويرجع ذلك إلى أن الأطباء المسلمين كانوا يعلمون أن الأمراض النفسية والعقلية تتطلب نوعاً معيناً من الرعاية ، وتتطلب أيضاً أن يفطن الطبيب إلى بواعث المرض الذى يعانى منه المريض[3].

وقد وصل الاهتمام بهؤلاء المرضى حداً إلى الدرجة التى معها[4]

---

(1) راجـــع عـــبد الرحمن العيسوي ، علم النفس الحديث ، الاضرابات النفسجسمية ، دار الراتب الجامعية ، بيروت 2000 ص 404 – 406.

(2) انظر مقالى ، أصالة الطب النفسى ، مجلة العربى الكويتية ، نوفمبر 2004.

(3) ماهـــر عبد القادر محمد ، دراسات وشخصيات فى تاريخ الطب العربى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1991 ، ص 305 .

(4)أحمد شوكت ، تاريخ الطب وآدابه وأعلامه، دمشق 1967 ص 425.

: كانت أقسامهم فى بيمارستانات بغداد ودمشق، والقاهرة، وقرطبة تفرش بفـــرش من القطن فى ردهات يتوفر فيها الهدوء والهواء الطلق والنور ، وعليهم مشرفون يتعهدونهم بالأشربة المسكنة والمرطبة، ويغذونهم بمرق الـــدجاج وأنـــواع الألبان ، بينما الموسيقى تصدح خلفهم بألحان شجية ، وفـــى بعض البيمارستانات مثل بيمارستان حلب خص المريض بخادمين ينـــزعان عـــنه ثيابه كل صباح، ويحممانه بالماء البارد، ويلبسانه أنظف الثياب ، ويحملانه على أداء الصلاة، ويسمعانه قراءة القرآن – ألا بذكر الله تطمئن القلوب – ويخرجان به إلى الهواء الطلق .

نتائج الدراسة

سجلت فى معظم صفحات هذه الدراسة بعض الاستناجات والنتائج التـــى لـــم يتحـــتم تأجيلها . وبعد أن استعرضت الموضوع – من وجهة نظـــرى– علىّ الآن أن استخلص نتائجه من خلال الإجابة على الأسئلة التـــى طرحتها فى مقدمته .. ويمكن الوقوف على ذلك من خلال النتائج التى أطرحها فى نقاط محددة فيما يلى :

بيّنت الدراسة كيف استند العلاج النفسى خلال عصور التاريخ ، قـــبل العرب والمسلمين إلى السحر ورد المرض النفسى إلى قوى شريرة فى استخدام الرقى والتمائم والتعاويز . ففى الحضارة اليونانية كان يعتقد أن الشفاء من الأمراض النفسية يستلزم أن ينام المريض فى هيكل خاص ، حيث يتم شفاءه بمعجزة تحل بجسده فى الليلة الوحيدة التى يقضيها فى ذلـــك الهـــيكل . ورأينا كيف اقتصرت الآفاق الخلقية فى الطب اليونانى علـــى قسم أبقراط الشهير ، حيث يقسم كل طبيب للأرباب والربات بأن يـــذهب إلى كل البيوت لفائدة مرضاها دون الذهاب لأصحاب الأمراض المستعصـــية ، هـــؤلاء الذين لا يرجى شفاءهم . وكان ذلك استناداً إلى تعـــريف أبقراط للطب بالفن الذى ينقذ المرضى من آلامهم ويخفف من وطـــأة النوبات العنيفة ، ويبتعد عن معالجة الأشخاص الذين لا أمل فى شفائهم .

وبصدد التساؤل عن كيفية تعامل أطباء العرب والمسلمين مع مثل هذه الأمراض ، وهل نهجوا نهج إسلافهم اليونان ، والتزموا بقسم أبقراط ، أم تعدوا ما أوصى به فى مجال الأمراض النفسية ، بيّنت الداسة كيف تعـــدى أطباء الحضارة الإسلامية الحدود الأخلاقية الأبقراطية ، ووقفت

علـــى الـــرازى كأول طبيب يفكر فى معالجة المرضى الذين لا أمل فى شفائهم ، فكان بذلك رائداً فى هذا المجال . فلقد رأى الرازى أن الواجب يحـــتم على الطبيب ألا يترك هؤلاء المرضى ، وأن عليه أن يسعى دوماً إلى بث روح الأمل فى نفس المريض ، ويوهمه أبداً بالصحة ويرجيه بها ، وإن كـــان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس . وهذا القول يُعد دليلاً واضحاً على أولوية النفس فى الصلة بينها وبين الجسم . لذا ينصح الرازى بأن يكون طبيب الجسم ، طبيباً للنفس أولاً ، فيستطيع أن يقــف علـــى ما يجرى فى نفس المريض من خواطر ، ويستشف من خـــلال ملامحـــه الظاهـــرة ما يعينه على تشخيص المرض العضوى ، ولأهمية هذا الجانب صنف الرازى كتاباً أسماه "الطب الروحانى" قصد به إصلاح أخلاق النفس .

ومـــن هـــنا رأت الدراسة أن من أشهر الأمراض التى اعتبرها ســـابقوه مســـتحيلة البرُء، وعالجها الرازى ، الأمراض النفسية والعقلية والعصبية . وكما فعل الرازى تجاه الأمراض العضوية من تقديم وصف مفصـــل للمـــرض يشرح فيه علاماته ، وأعراضه ، ثم يصف له العلاج المناسب ، فإنه قد فعل نفس الشيئ بالنسبة لهذه الأمراض ، فالغم الشديد – على حد قوله – الدائم الذى لا يعرف له سبب ، وخبث النفس ، وسوء الـــرجاء يُـــنذر بالمالنخوليا . وقد وقفت الدراسة على وصفٍ رازىٍ بليغٍ لهـــذا المرض بعلاماته الدالة عليه ، وأعراضه وطريقة علاجه . وكذلك الكابـــوس والدوار إذا داما وقويا، ينذران بالصرع عند الرازى ، فلذلك ينبغـــى أن لا يتغافل عنهما ، وإذا حدثا ، بودر بعلاجهما . وقد تطرقت الدراســـة لـــبعض طرق الرازى العلاجية النفسية ، وانتهت منها إلى أن

صـــاحبها قد استخدم التحليل النفسى قبل أنصاره المحدثين بحوالى ألف ســنة . كمــا تنـبه إلـــى مـــا يســمى حالــياً بالأمراض النفسجسمية psychomatic diseases ، وهى موضوع اهتمام أحدث فروع الطب .

وفى البحث عن اسهامات طبية نفسية لأطباء أُخر غير الرازى ، وجــدت الدراسة أن هناك أطباء كثيرين كل أدلى بدلوه فى هذا الميدان ، فتعرضت لهم بالدراسة ، وبيّنت ما يلى :

يُعــد الطبــيب جبرائيل بن بختيشوع واحد من أهم الأطباء الذين اســهموا فـــى مــيدان الطب النفسى ، فلقد رأينا كيف تمكن هذا الطبيب البارع من علاج جارية الخليفة هارون الرشيد من الحالة المرضية التى اعترتها ، وحار فيها الأطباء بلا جدوى ، وظلت الجارية رافعة ذراعها إلـــى أن أنـــزله جبـــرائيل بـــالعلاج النفسى ، وعرضت الدراسة الحالة المرضـــية وطريقة علاجها على علم النفس الحديث الذى انتهت الدراسة بـــه إلـــى أن جبرائيل بن بختيشوع عرف فى القرن الرابع الهجرى ما يســـمى حديثاً الفصام أو الشيزوفرنيا Schizophrenia ، وأن حالة الفــتاة مـــن نـــوع يسمى الفصام التشنجى Catatonia ، أو الفصام التصـــلبى Catatonic الـــذى يتميـــز بسلوك صاحبه بالتيبس النفسى والجســـمى ، حيث يجلس المريض ساعات طويلة جامد لا يتحرك ، وإذا رفع يده أو ذراعه ، فإنه يبقيه لمدة طويلة كما لو كان منفصلاً عن جسمه . لـــذا تعتبـــر هـــذه الحالة إحدى الاضطرابات الحركية ذات الأعراض التكوينـــية والنفســـية. وربما نتج عن الاستثارة المستمرة فى منطقة غير محددة بالمخ حيث يزداد نشاط الجاما أمينو بيوتريك أسيد Gamma

. Amino Butyric Acid. GABA

ويلاحـــظ أن جبـــرائيل بن بختيشوع قد استخدم ما يعرف حالياً بالعلاج السلوكى Behavior therapy الذى يهتم فى أبسط حالاته بعلاج العرض الملاحظ حيث استخدم جبرائيل الفعل المنعكس Reflex action الذى لا يصدر عن المخ ، وإنما يصدر عن النخاع الشوكى ، وبالتالـــى لا يخضـــع للتفكيـــر الرمـــزى . فالانعكاس العصبى أو قوى الانعكاس Reflex Arc واحد من أبسط الأنشطة المعروفة عن النخاع الشـــوكى ويعنى بالتكيف التلقائى للإبقاء على توازن الجسم دون تفكير . فتصـــلب يد الفتاة فعل قسرى تعجز عن تغييره بطرق الإقناع العادية ، ولـــذلك فلابد من أن يعالج بظروف تعجز الفتاة عن عدم الاستجابة لها ، أى بفعل لا إرادى . وهذا ما فعله جبارئيل ، وهى طريقة أقرب ما يمكن لطريقة الكف المتبادل ، حيث أُبطلت الاستجابة القديمة بواسطة استجابة جديدة أقوى منها .

أمـــا الشيخ الرئيس ابن سينا ، فقد أوضحت الدراسة أنه قد عُنى بعلم النفس عناية لا تكاد تجد لها مثيلاً لدى واحد من رجال التاريخ القديم والوســـيط ، فـــألم بمسائله المختلفة إلماماً واسعاً ، واستقصى مشاكله ، وتعمـــق فـــيها تعمقاً كبيراً . وهو يُعد أول الفلاسفة القدماء الذين ربطوا وظائف الاحساسات والخيال والذاكرة بشروطها الفسيولوجية ، كما أن له فضـــلاً كبيـــراً فـــى توضيح أوجه الشبه بين إدراك الحيوان ، وإدراك الإنســـان ، وأظهر بوضوح تعقيد عملية الإدراك الحسى ، وتركيبها من عناصـــر متعددة متداخلة ، إذ يبدأ الإدراك باستخدام الحواس ، ثم الربط بـــين الأفكـــار الحســـية المختلفة ، وكيفية إدراك المعانى التى ليست لها

حواس خاصة كالشكل والحركة ونحوها. ولم يغفل دور الخيال والذاكرة فـــى تكـــوين الإدراك الحسى، وقد اتضح لنا ذلك من خلال تصنيف ابن ســـينا للقوى النفسانية المدركة ، وكيف أن أنواع القوى إنما تندرج تحت تلك القوى النفسانية ، الأمر الذى تأدى به إلى تمييز نوعين من الإدراك ، الأول حســـى يتم باستخدام الحواس الخمس ، والآخر باطنى يُدرك من الأمور المحسوسة ما لا يدركه الحس ، كالمحبة ، وكالقوة التى تحكم فى الشاة بأن الذئب عدو لها .. ومن هنا خلُصت الدراسة إلى أن دراسة ابن سينا للإدراك ، تعد من الإسهامات الأصيلة فى علم النفس ، واتضح ذلك بصورة جلية حين تعرضت لتعريف الإدراك فى علم النفس الحديث الذى يســتخدم مصطلح الإدراكPerception ليشير إلى المعرفة المباشرة للعالم ولأجسامنا ، وذلك نتيجة لإشارات عصبية تأتينا من أعضاء الحس : العينان والأذنان والأنف واللسان والجلد. وذلك هو الإدراك الحسى فى علــم الــنفس الحديث ، وعند ابن سينا من قبله . وهناك الإدراك خارج نطـــاق الحواس Extrasensory perception ، وهو نوع من الخبـــرة التى تتكون من إدراك لم يأت عن طريق تنبيه أعضاء الحس ، فـــذلك هو الإدراك الباطنى فى علم النفس الحديث ، وعند ابن سينا من قبله بمئات السنين .

وفـــى سبيل تأكيد فضل ابن سينا على علم النفس الحديث أوردت الدراســـة بعـــض شـــهادات علماء النفس الغربيين ومنهم هليجارد الذى اعتـــرف صـــراحة بـــأن ابن سينا قد تعرف على ما يُعرف اليوم باسم الأمـــراض الوظيفية Function Illnesses والتى تقابل الأمراض العضوية Organic Illnesses . والأمراض الوظيفية هى أمراض

نفســية الأســباب ، ونفســية النشــأة Psy chohenesis ، وهى الأمراض التى لا ترجع إلى خلل أو أسباب عضوية فى جسم الإنسان أو جهــازه العصــبى أو الغدى ، بل هى أمراض تصيب وظيفة العضو ، ولــيس العضــو ذاتــه كالتفكيــر بالنسبة للدماغ . وهى تشمل كلاً من الأمــراض العقلــية ، والنفســية العقلية كالاكتئاب ، والفصام ، والهوس وجــنون العظمة ، والاضطهاد .. ومن الجديدر بالاعتبار أن واحداً من أكبــر علماء النفس الأمريكين المعاصرين ، وهو جميس كولمان يضمن كــتابه Abnormal psychology and Modern life حالــة مرضــية نفسية عالجها ابن سينا بطريقة مبتكرة ، أفاد منها علم النفس الحديث تماماً كما أفاد من نوادر الطبيب أوحد الزمان .

فلقد بيّنت الدراسة أن هذا الأوحد عالج مريض بغداد ، الذى كان يعتقد أن على رأسه دنا ، بطريقة نفسية مازال علم النفس يأخذ بها حتى الآن ، وفســر هــذه الحالــة علــى أنهــا أعــراض هــلاوس Halluacination وهــى مــن الأعــراض الشائعة لدى الذهانيين . وتعرف الهلاوس على أنها مدركات حسية خاطئة ذات طابع قشرى ، لا تنشــأ عــن موضــوعات واقعية فى العالم الخارجى ، بل عن وضوح الخيالات ، والصور الذهنية ونصوعها نصوعاً شديداً بحيث يستجيب لها المــريض كوقائع بالفعل . وقد تكون الهلاوس بصرية سمعية أو ذوقية ، أو حتى شمية ، وهى فى حالة أوحد الزمان ، هلاوس بصرية ، واستخدم فــى علاجهــا مــا يُعرف حالياً بالعلاج بالإيحاء ، وهى طريقة لعلاج أعراض المرض ، تساعد على تحرير المريض من اعتقاده الفاسد .

وفى ضوء علم النفس الحديث أوضحت الدراسة كيف أن الطبيب

سكرة الحلبى قد استخدم ، فى علاجه لمحظية نور الدين محمود ، نظرية الــذات التى قال بها روجرز فى القرن العشرين ، وتسمى أيضاً بنظرية العلاج المعقود على المريض حيث أجرى سكرة مقابلته مع المريضة فى جو طليق سمح ، ولم يقدم لها تشخصياً ، وإنما أدلى لها بنصيحة ، وأخذ يصغى إلى إجابتها عن أسئلته . وهذه الطريقة تختلف عن التحليل النفسى فى أنه ليس من الضرورى أن يفهم المريض أصل مشكلته فى الطفولة ، فــيطلق المعــالج للمــريض الحرية ، وتهيئة الجو للتعبير عن متاعبه. وتســتخدم هــذه الطريقة فى الحالات التى لا تحتاج إلى بحث عميق فى الماضــى . كما أن تغيير النمط الغذائى – الذى أجراه سكرة– أفاد علم النفس الحديث ببيان أن هناك علاقة وطيدة بين الذوق والسرور حيث قد يتعــرض الفــرد عند تغيير غذاءه لما يعرف بمقت الطعام Taste–Averion ، وربما يستتبع ذلك فقدان الشهية وعدم السرور .

أما الطبيب رشيد الدين أبو حليقة ، فقد عرضت الدراسة لنوادره فــى العلاج النفسى ، ومنها حالة الشاب العاشق ، تلك التى ذكر ابن أبى أصــيبعة أن مثلها قد عرضت لجالينوس ، إلا أن أبا حليقة كان أول من عــالج مــثل هذه الحالات من الأطباء العرب والمسلمين ، وعنه انتقلت طريقته إلى الأجيال اللاحقة ، حتى وصلت إلى علم النفس الحديث الذى اعتبــر تشــخيص أبــى حليقة لهذه الحالة تشخيص ممتاز ، لما اعترى المريض من اضطراب فى النبض عند سماع اسم المعشوق ، حيث تنتابه حالة تهيج انفعالى مصحوبة بعمليات عصبية وفسيولوجية، تصل إلى أحد المراكــز داخــل لحاء المخ يسمى هيبوثيلاموس Hypothialmus تنــبعث مــنه رسائل عصبية إلى العضلات المختصة والجهاز العصبى

المســـتقل أو الذاتى الذى يتحكم فى التغيرات الفسيولوجية فى الأفعال .. ومنها زيادة ضغط الدم ، زيادة سرعة النبض ، اتساع الممرات الهوائية الموصلة للرئتين ، واتساع حدقة العين ، إفراز العرق ، زيادة السكر فى الدم ، زيادة إفراز هرمون الإدرينالين ، علاوة على وقوف شعر الرأس ، وإعاقـــة الهضـــم ، وزيـــادة ضـــربات القلب ، تلك التى كانت مفتاح التشخيص فى حالة أبا حليقة .

من كل ما سبق لعله يتضح ويتبين مدى الشوط الذى قطعه أطباء العرب والمسلمين فى مجال الطب النفسى ، كيف أن هذا الفرع الهام من الطـــب يُعـــد ابتكاراً عربياً إسلامياً خالصاً. ففى الحضارة اليونانية رأينا كيف كان يعتقد أن الشفاء من الأمراض النفسية يستلزم أن ينام المريض فى هيكل خاص ، حيث يتم شفاؤه بمعجزة تحل بجسده فى الليلة الوحيدة التـــى يقضيها فى ذلك الهيكل ، فإن لم تحل هذه المعجزة فى تلك الليلة ، لن يُشفى المريض طيلة حياته .

وفى العصور الوسطى الغربية كان يُعامل أصحاب هذه العلل أســـوأ معاملـــة ، فكانـــوا يوضعون فى سجون مظلمة وقد قُيدت أيديهم وأرجلهـــم ، ويسلم أمرهم إلى رجال أفظاظ لا يعرفون إلا لغة الضرب والـــتعذيب أمد الحياة . وكان مبعث ذلك لدى الغربيين آنذاك هو الاعتقاد الســـائد بـــأن هـــذا المريض قد لعنته السماء عقاباً له على إثم ارتكبه ، فأنـــزلت به هذا المرض . أو أن شيطاناً ماكراً ضاقت به الدنيا فحل فى جســـم هـــذا المريض ، لذا فإنه يحل تعذيب ذلك الجسد لأنه بمثابة منزل لشيطان رجيم !!.

أمـــا الأطباء العرب والمسلمون ، فقد تصدوا لمعالجة الأمراض

النفسية ، وقدموا لها من العلاجات (المبتكرة) ما ساعد على شفائها . وقد أتيـــنا بأمـــثلة كثيرة – عبر صفحات هذه الدراسة – أكدت عملية قياسها علـــى "علم النفس الحديث" مدى جدتها وأصالتها ، وقد وقفنا على ما لها من أثر على (الآخر) الغربى ، وذلك من خلال ما أوردته من تصريحات واعترافات أكبر علماء النفس الغربيين المعاصرين ، تؤكد الدور الريادى للعـــرب والمسلمين فى هذا المجال واعتباره بمثابة أساس متين فى قيام وتطور علم النفس الحديث .

والله أعلم .



المراجع والمصادر

1- ابن أبى أُصيبعة : عـيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، تحقيق نـزار رضـا ، دار الحياة ، بيروت بدون تاريخ.

2- ابن البيطار : الجامـع لمفـردات الأدوية والأغذية ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1992.

3- ابن سينا : رسـالة فى النفس وبقائها ومعادنها ، تحقيق أحمد فؤاد الأهوانى ، طبعة مطبعة الحلبى ، القاهرة 1372 هـ /1952 م.

4- .... : الشـفاء ، المؤسسـة الجامعـية للدراسات والنشر، بيروت 1982.

5- .... : القانـون فـى الطب ، طبعة مؤسسة الحلبى عن طبعة بولاق القديمة ، القاهرة (د.ت)

6- .... : كـتاب تـدارك الأخطاء ، مخطوط المكتبة المركزية بجامعة الإسكندرية رقم 59.

7- أبو بكر محمد بن زكريا الرازى : بُرء ساعة ، دارسة وتحقيق خالد حربى ، ط الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

8- .... : جـراب المجربات وخزانة الأطباء ، دراسة وتحقيق خالد حربى ، ط الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

9- .... : الحـاوى الكبير فى الطب ، طبعة حيدر أباد الدكن بالهند 1955.

10-................ : كتاب التجارب ، دراسة وتحقيق خالد حربى ، ط الثانية، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

11- .... : المرشـــد ، أو الفصول ، تحقيق ألبير زكى إسكندر ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد السابع ، مايو 1961.

12-................ : منافع الأغذية ودفع مضارها ، تحقيق حسين حموى ، دار الكتاب العربى، سوريا 1984.

13-................ : المنصورى فى الطب ، تحقيق حازم البكرى الصـــديقى ، معهـــد المخطوطات العربية ، الكويت 1986.

14- دكـــتور إبراهيم وجيه محمود : صـــحة النفس ، دار المعارف ، الإسكندرية بدون تاريخ .

15- دكـــتور أحمـــد شوكت : تاريخ الطب وآدابه وأعلامه، دمشق 1967.

16-دكتور أحمد عبد الخالق : أســس علم النفس ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 2005.

17- دكـــتور أحمـــد عزت راجح : أصـــول علـــم الـــنفس ، دار المعـــارف ، الإسكندرية 1994.

18- دكتور أحمد فؤاد الأهوانى : الشـــعور ، بحـــث ضمن بحوث المهرجان الألفى لذكرى ابن سينا ، بغداد 1952.

19- دكـــتور خالـــد حربى : بنـــيّة الجماعات العلمية العربية الإسلامية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2003.

20-............... : أبــو بكر الرازى حجة الطب فى العالم ، ط الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

21-............... : علــوم حضـــارة الإســلام ، ودورهـــا فى الحضـــارة الإنسانية ، سلسلة كتاب الأمة ، قطر 2005.

22- داود الأنطاكى : تذكرة أولى الألباب ، الجامع للعجب العجاب ، المعــروفة بتذكــرة داود ، مكتبة الثقافة ، القاهرة بدون تاريخ .

23- زيجريد هونكه : شــمس العرب تستطع على الغرب ، ترجمة محمد بيضون ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1986.

24- دكــتورة زينب الخضيرى : ابــن ســينا وتلامــيذه اللاتين ، دار قباء ، القاهرة 1988.

25- دكــتورة سامية الأنصارى : الصــحة النفســية وعلم النفس الاجتماعى ، الإسكندرية 1994.

26- سناء عبد الحميد : الــنفس بــين النظر والتطبيق عند محمد بن زكريا الرازى ، رسالة ماجستير كلية الآداب – جامعة الإسكندرية 1987.

27- دكــتور شكرى إبراهيم : نباتات التوابل والعقاقير ، دار الفكر العربى ، القاهرة بدون تاريخ .

28-دكــتور عــباس محمود عوض : مــدخل إلى الأسس النفسية والفسيولوجية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1985.

29- دكـــتور عـــبد الرحمن العيسوى : الطـــب العقلـــى فى الفكر السينوى ، دارسة مقارنـــة مـــع الفكر السيكولوجى الحديث ، مؤتمـــر الطب والصيدلة عند العرب ، آداب الإسكندرية 1998.

30-............... : علـــم الـــنفس الحـــديث ، الاضـــطرابات النفسجسمية ، دار الراتب الجامعية ، بيروت 2000.

31- على الدجوى : موســـوعة النباتات الطبية والعطرية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة 1996.

32- دكـــتور لطفـــى الشربينى : الطب النفسى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية 2003.

33- ماركولسى : فهـــم منطقـــى لحـــس الذوق ، مجلة العلوم الأمريكية ، المجلد 17 ، يوليو 2001.

34- دكـــتور ماهـــر عبد القادر : دراسات وشخصيات فى تاريخ الطب العربى ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1991.

35- دكـــتور محمـــد عثمان نجاتى : الإدراك الحسى عند ابن سينا ، دار المعارف ، القاهرة 1961.

36- دكـــتور محمـــد عبد المؤمن حسين : الشخصـــية والأمـــراض النفسية والعقلية ، مدخل فى الصحة النفسية ، دار المطبوعات الجديدة ، الإسكندرية 1990.

37- دكـــتور محمـــد على أبو ريان : تـــاريخ الفكـــر الفلســـفى فى الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 2000.

38- دكـــتور محمود : نظـــرية المعـــرفة عـــند مفكرى الإسلام ، فهمى زيدان وفلاســـفة الغرب المعاصرين ، دار النهضة العربية ، بيروت 1989.

39- Coleman , James : Abnormal psychology and modern life, scott chicago, 1956.

40- Curran , vitoria , marergo , Joaeerl : Psychologyical assessament of catatonic Schizphernia , Journal of personality assessement vol 55K 1990 .

41- Kirk Cafly , Bruee(Ed) : Motorobnor malities and the psychology schizphre nia in , normalities and abnrormalities in human movement medicine and sport scince, vol 29. Barel, switzerland 1989.

42-Trimble, michael R; : Cunning jeffl (Ed) catatqria in contemporary behavioral rewrology , blue Book soft practical rewrology, vol , 16 , 1997.

43- Waure weiten, Margaret A. Lbyd : Psychology Applied to modern life , Boston , Bookst Col publishing Company 1997.



الفهرست



أعمال الدكتور خالد حربى

1- الرازى الطبيب وأثره فى تاريخ الطب العربي : الطبعة الأولى دار ملتقى الفكر، الإسكندرية 1999. الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

2- نشأة الإسكندرية وتواصل نهضتها العلمية : الطبعة الأولى ، دار ملتقى الفكر ، الإسكندرية 1999.

3- بُرء ساعة : للرازى (دراسة وتحقيق) ،دار ملتقى الفكر، الإسكندرية 1999، الطبعة الثانية، دار الوفاء 2006.

4- خلاصة التداوى بالغذاء والأعشاب : الطبعة الأولى، دار ملتقى الفكر الإسكندرية 1999- الطبعة الثانية 2000 ، توزيع مؤسسة أخبار اليوم ، الطبعة الثالثة دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

5- الأسس الابستمولوجية لتاريخ الطب العربي : دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 2001، الطبعة الثانية دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

6- الرازى فى حضارة العرب : (ترجمة وتقديم وتعليق)، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 2002.

7- سر صناعة الطب : للرازى (دراسة وتحقيق)، دار الثقافة العلمية الإسكندرية 2002، الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006

8- كتاب التجارب : للرازى (دراسة وتحقيق)، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 2002 ، الطبعة الثانية، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

9- جراب المجربات وخزانة الأطباء : للرازى (دراسة وتحقيق وتنقيح)، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 2002، الطبعة الثانية ، الإسكندرية 2006.

10- العولمة بين الفكرين الإسلامى والغربي : الطبعة الأولى منشأة المعارف ، الإسكندرية2003.

11- المدارس الفلسفية فى الفكر الإسلامى (1) " الكندى والفارابي" : الطبعة الأولى منشأة المعارف، الإسكندرية 2003 .

12- الأخلاق بين الحلال والحرام والصواب والخطأ. : الطبعة الأولى منشأة المعارف، الإسكندرية 2003.

13- العولمة وأبعادها : مشاركة فى كتاب "رسالة المسلم المعاصر فى حقبة العولمة"، الصادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر- مركز البحوث والدراسات، رمضان 1424، أكتوبر- نوفمبر 2003.

14- دور الاستشراق فى موقف الغرب من الإسلام وحضارته (بالإنجليزية)	: الطبعة الأولى دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 2003.
15- شهيد الخوف الإلهى ، الحسن البصري	: الطبعة الأولى دار الوفاء ، الإسكندرية 2003.
16- دراسات فى التصوف الإسلامى.	: الطبعة الأولى دار الوفاء ، الإسكندرية 2003.
17- دراسات فى الفكر العلمى المعاصر .	: الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2003.
18- ملامح الفكر السياسى فى الإسلام .	: الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2003.
19- بنية الجماعات العلمية العربية الإسلامية	: الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2004.
20- مقالة فى النقرس للرازى (دراسة وتحقيق)	: الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2005.
21-التراث المخطوط: رؤية فى التبصير والفهم (1) علوم الدين لحجة الإسلام أبى حامد الغزالى	: الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2005.
22- التراث المخطوط : رؤية فى التبصير والفهم (2) المنطق .	: الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2005.

23- علوم حضارة الإسلام وأثرها في الحضارة الإنسانية. : سلسلة كتاب الأمة ، قطر 2005.

24- مبارك للأمة. : الطبعة الأولى ، الإسكندرية 2005.

25- علوم الحضارة الإسلامية وأثرها في الآخر . : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006 .

26- العبث بتراث الأمة. : الطبعة الأولى ، الطبعة الأولى – الإسكندرية 2006.

27- المسلمون والآخر ، حوار وتبادل حضارى. : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006 .

28- الأسر العلمية ظاهرة فريدة في الحضارة الإسلامية . : الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006 .

29- علم الحوار العربى الإسلامى "آدابه وأصوله" : الطبعة الأولى ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية 2006 .

30- إبداع الطب النفسى العربى الإسلامى . "دراسة تأصيلية مقارنة بالعلم الحديث " :